

0360.03.0012

## **"The Caliphs of Mohammad", a Book by Omar abu an-Nasr, 1935**

Its first edition was issued in 1935 AD corresponding to 1345 AH by al-Ahliya Library in Egypt, the first part of the book "The Caliphs of Mohammad: Omar Ibn al-Khattab" written by Omar abu an-Nasr includes 231 pages in which the writer talks about the history and biography of the second Rashidun caliph, Omar Ibn al-Khattab, and the most important historical stations in his life from his childhood until he assumes the position of Caliph. The book deals with the Battle of Qadisiyah and the march of the Islamic conquest during his reign and his visit to Palestine and Syria, and then the opening of the Library of Alexandria and the Arab conquest of Egypt. According to what the writer explained in his books, he relied on a hundred authors and writers in Islamic and Arab history, especially orientalist.



# عمر بن الخطاب

كتاب جديد اعتمد في تأليفه وتبويبه وتنظيمه  
واخباره ومصادره على مائة مؤلف عربي وغربي  
خصوصاً بحوث المشرقين الجديدة في تاريخ  
الاسلام وفجر الدعوة الاسلامية

تأليف

عبد الباق النضلي

الطبعة الاولى - سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م



المكتبة الاهلية



مطبوعات «الاهلية» في فصل الصيف

---

# محمد برحب الله

وآراء كتاب الغرب في رسالته ونبوته  
مترجمة عن اللغات الاوربية  
ويصدر في اواخر تموز الجاري

---

تتمة «خلقاء محمد»

---

عثمان بن عفان

او الفتنة في الاسلام  
ويصدر في اواخر شهر آب

---

علي بن ابي طالب

او الخلاف بين هاشم واميه  
ويصدر في اواخر شهر ايلول



خلفاء  
محمد

الكلمة الفهدية  
في سير  
الطبع والترجمة والتأليف والنشر

خلفاء  
محمد

# عمر بن الخطاب

كتاب عمر بن الخطاب في تأليفه وتاريخه وتفسيره  
والفقه والحساب على ما في كتابه من  
الحديث والسير والفتاوى في تاريخ  
الاسلام وشرح الفتاوى الشرعية

أليف

عمر بن الخطاب

الطبعة الأولى - سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م

مطبعة الوفاء

عمر بن الخطاب  
محمد بن الخطاب  
مكتبة الامانة



صورة رمزية لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب في طريقه  
إلى بيت المقدس

## الفتوح العربية في سورية وفلسطين







امير المؤمنين بشي من التبسط على قدره حاولت معه ان اصور ناحية فذة من خلافة الفاروق ، اضطريت في الجلائل من الاحمال وواجهت من مشاكل الحياة ، ومصاعب الادارة ما لم يواجه غيرها لا قبلها ولا بعدها ، وكيف وفق الفاروق الى اقرار احسن المخطط فيها ، وبلغ الطرق في اساليبها فكان عهده فذاً في مناحي الادارة واصول القضاء ، والوانب التشريع ، وشتى انواع الادارة والديوقراطية المبررة الصحيحة .

....

الوفاء لله ولدين الله ، وحب العربية ، والشعور بالواجب ، ورغبة الاحسان في المصلحة العامة ، دفع الفاروق الى ان يقوم مقامه هذا من العدل والتضحية ، وافضى به الى ان يفتي نفسه في سبيل الدولة الاسلامية اول نشأتها في الاستبحار والتوسيع والفتوح ، وزاد ندى فساوى نفسه بادنى رعيته ، وقتر عليها تفتيراً اساء الى صحته ونفسه ، وغشيت روحه هذه الناس في عهده ، فسابقوا الى الوفاء ، وتسارعوا الى النداء ، ومشوا خلفه يقتصدون الامصار ، ويتقلبون على المالك ، ويدلون العصر نفسه ، فاذا عصر الفاروق شيئاً رائعاً عذباً جليلاً ، واذا هو انشودة ماثمة ، واذا العالم الاسلامي سلام جميعه ، واذا به وهو الزعيم الاخضر .

....

ولقد حمد المسلمون للفاروق هذه الخدمة ، وقدروا له هذا الاخلاص ، وادركوا كيف صاغهم تقوداً حرة ، تثير الدنيا ولا تتغير ، ولم يفرغوا تقديره بعد ان اضمن في التاريخ ، وقصد الاسلام فيه خليفة عظيم ، واميراً عادلاً ، وادارياً حازماً ، كما يفضل سوامهم مع اعظمهم وكبارهم - وانما ذهبوا بغيره بهذا الحب السائع الجليل ، وهذا العطف الرائع المائمه ، وهذا الحزن النائر الباكي ، منذ طواه الردى ، واخذ الله اليه ، وزاد في حزنهم وتألمهم ما احسوه بعد فقده ، من ان الله لم يخلق مثله من بعده ، وان من جاء بعده من الملوك العاديين ، والمخلقات الحاكين ، ما يرحون عيالاً عليه ، وان ما سته للحكم والمخلقات من بعده ، من الوان العدل والتضحية والاخلاص للرعية ، هو فوق الطاقة وفوق الامكان .

....

هذا الكتاب يعرض لتاريخ الفاروق امير المؤمنين عمر بن الخطاب عرضاً متساقاً متعاقباً ، جملته الجليل من اخباره والصحيح من حوادثه ، والفقير من النظم الادارية والمالية والقضائية التي انتقلت في عهده ، وانتظمت في زمنه ، واما فتوحاته فقد سويتها فصولاً رحبة ، وناولنا فيها مذاهبها والوانها وجعلنا مصارها وعظائرها ثم توليناها بشي كثير من التصوير الفني ، لتخرج للناس رائية ماثمة ، يقرأها القاري فتطربه روحها ، وتزهو وقائعها .

ويستغزه ما فيها من الوان التضحية واشكال الاخلاص ، وروائع البسالة والرجولة ، فان وقفنا الى هذا كله ، فهو ما اردناه من غاية وتكفنا من خلة ، ترجوان تكوّن عند حسن الظن القراء والمشجعين ، وقد اصبحوا كثرة جعلنا على العناية بهذه الناحية من تاريخ الاسلام ، بما نرجو منه ان لوفى الى اخراجها جميعها بهذا الزي الجديد ، والتقسيم الجديد ، والاسلوب الطريف

بيروت ١٠ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤  
الوافق ١٠ لوز سنة ١٩٣٤



### تقييم

وقعت بعد اخطاء في هذا الكتاب ليست من المخطورة بحيث نفرد لها صفحة خاصة ، واكثرها لا ينفى على القاري ، وقد وقعنا على بعضها ونحن نطالع فقرأ من كتابنا هذا والى القاري صوابها :

صفحة	سطر	خطا	صواب
١٧	٣	لثلاية	لثلاية
١٧	١٥	باحد	لاحد
٤٩	١	مكذور	مكذور



من الجيوش والعمال ، وأطلق يد حين على جميع سجلات الحكومة وعلى المكان الذي يجلس فيه القاتلون على هذه السجلات والأخبار وغيرها ، وثبت أنه كان له سجن ، وأنه سجن الخطيئة على المحو وسجن ضيقاً على سؤاله عن ( القاريات والمرسلات والتأريعات ) وضربه مرة بعد مرة ونفاه إلى العراق ، وكتب أن لا يخالسه أحد فلو كانوا مائة نفر فواعته ، حتى كتب إليه عامله أن حسنت نوبته فأمره عمر نعلي بينه وبين الناس ، وكانت أعمال عمر جداً كلها لا يجوز لأحد أن يجلس في المسجد في غير أوقات الصلاة ، وبني في المسجد رحبة تسمى البطيخة وقال : من كان يريد أن يلعب أو يمشد شعراً أو يرفع صوته فليخرج إلى الرحبة . وما كان المسجد سيف أيامه لغير الصلاة والقضاء ، وكان الخلفاء الراشدون يجلسون في المسجد قضاء الخصومات ، ولما كثرت الفتوحات واسلمت الأعاجم وأهل البوادي وأكثر الولدان أمر عمر ببناء بيوت الكتائب ونصب الرجال لتعليم الصبيان وأدبهم

وضم عمر أول ديوان في الإسلام للخراج والأموال بدمشق والعبدة والكوفة على النحو الذي كان عليه قبل ، وقبل أن أول ديوان وضع في الإسلام هو ديوان الإنشاء ودواوين الشام تكتب بالرومية ، ودواوين العراق بالفارسية ودواوين مصر بالبطنية ، يتولاهما النصارى والمجوس دون المسلمين ، والسبب في تدوين

الدواوين أن عامل عمر على البحرين جاء يوماً بمئة مائة ألف درهم فاستعظمها وجعل عليها حراساً سيف المسجد ، فأشار عليه بعض من عرفوا فارس والشام أن يدون الدواوين ، يكتبون فيها الأمانات ويجعل الأرزاق مشاهرة كما أنه صنع صندوقاً لجمع صكوكه ومداخله ، وجند الأجناد أي ألف الفياقي ، فصار فلسطين جنداً والجزيرة جنداً ، وللوصل جنداً ، وقسرين جنداً ، وأصبح كل جند في الشام والعراق يتألف من مقاتلة المسلمين يقضون أعطياتهم من البلد الذي نزله ، فأصبحت المدينة خاصة بقضة من المسلمين ، ويسير الناس بعضهم وقضيضهم إلى الرخص عدد الحاجة حتى النساء والأولاد ، وما كان الجند يعملون كلهم في السلاح بل يترك بعضهم في البلاد يكونون على استعداد للوثبة عند أول إشارة ، والغالب أنه كان يترك فضل في بيوت الأموال خارج الحجاز يستخدم في طاريء إذا طرأ ، وما كانت الصوافي تعمل كلها إلى الحجاز ، بل يدخر بعضها في بيوت الأموال في الشام والعراق ومصر ، وجزء عظيم من دخل الدولة يصرف سيف الوجوه التي أشرنا إليها .

....

وعمر هو أول من لقب بأمر المؤمنين ، وأول من استنفض القضاء ، وأول من أحدث التاريخ المجري فأرغ ست سنين عشرة هجرة رسول الله من مكة إلى المدينة ، فكان أول من أرح

الكتب وختم على الطين ، قال البيهقي : وأمر يزيد بن ثابت أن يكتب الناس على منازلهم وأمره أن يكتب لهم صكاً من قرطاسه ثم يجتم أساقفها ، فكان أول من صك وختم أسفل الصكك وغير أسماء المسلمين بأسماء الأنبياء ، وكان أول من مصر الأمصار ، مصر للمصريين البصرة والكوفة

وكان في المسائل العامة يسأل الناس في المسجد عن آرائهم ثم يعرض رأيه ويرأهم على مجلس شورى وهم من كبار الصحابة ، فما استقر عليه رأيهم أمضاء ، فكانت أماله فترة فاضحة من الآراء الصالحة ولقد كانت تدور هفواته في الإدارة بالقياس إلى غيره

ولما أرسل عبد الله بن مسعود إلى العراق وزيراً ومعلماً مع عمار بن ياسر الذي ولاء الإمارة ، كتب إلى أهل العراق « وقد جعلت على بيت الحكم عبد الله بن مسعود وأمرتكم به على نفسي » وقد بعث إلى بعض الأنظار عاملاً على الصلاة والحرب ويسميه أميراً ، وعاملاً على القضاء وبيت المال ويسميه معلماً ووزيراً كما فعل في العراق ، أو يجمع للعامل بين الصلاة والخراج كعامل مصر ، وتقدير الحال في الشام يختلف عن اليمن ، وعادل البحرين لا يكون كعامل البصرة وقد بعث أئمة مساحة الأرض ، وأئمة تقدير الخراج ، وآخرين لأحصاء الناس ، وقال لعاملين له توليا مساحة العراق ووضع الخراج على سوادها : أخاف أن تكونا

حاملتا الأرض لا نطقة ، لأن سلمي الله لأحد لرامل العراق لا يجتمع إلى رجل يهدي أبداً ، وقال : اللهم إني أشهدك على أمره الأمصار فإني لما بعثتهم ليعلموا الناس دينهم وستة بينهم ويعلموا عليهم ويقسموا فيهم بينهم ، ويرفعوا إلي ما أشكل عليهم من أمورهم .

وكان يرزق العامل بحسب حاجته وبلده ، ولما استعمل زيد بن ثابت على القضاء فرض له رزقاً ، وكان يرزق عامله على حصص عباس بن عتبة قتم كل يوم ديناراً وشاة ومداً ، وبعث إلى الكوفة عمار ابن ياسر على الثغر ، وعثمان بن حنيف على الخراج ، وعبد الله ابن مسعود على بيت المال ، وأمر هذا أن يعلم الناس القرآن ويفقههم في الدين ، وفرض له شاة كل يوم ، وجعل شرطها وسواها لعمار بن ياسر ، والشرط الآخر بين عبد الله بن مسعود وعثمان بن حنيف ، وكان أبو بكر يساويهم الناس في العطاء ولا يفضل أهل السابقة ويقول : لما عملوا الله فأجورهم على الله ، ولما هذا السال عرض حاضر بأكثره البر والقاجر وليس ثمة لأعمالهم . وكانت عمر يقول لا أجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه ، ولم يقدر عمر الأرزاق إلا سيف ولاية عمار فأجرى عليه ستائة درهم مع عطائه لولائه وكتابه وموذيته ومن كان يلي معه في كل شهر ، وكان عطاء عثمان بن حنيف



خسة آلاف درهم وأجرى على عبد الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وربع شاة في كل يوم ، وأجرى على شريح القاضي مائة درهم في كل شهر وعشرة أجرة ، وأما فضل عماراً لأنه كان على الصلاة ، قال الحسن : وكان عطاء سلمان خمسة آلاف وكان على زهاء ثمانين ألفاً من الناس .

....

وقد كان العرب يتفاضلون بالعصبية ويتفخرون بالنسب ، فلما جاء الإسلام كان في جملة ما بدله من المواليم أنه جمع كلتهم ووحدهم وجعلهم نسبة واحدة على اختلاف قبائلهم ومراتبهم ، واتدى برسول الله الحذاء الأولون خصوصاً الفاروق الذي جعل الجامعة الإسلامية أساساً لسياسة الإسلام العامة ، والجامعة العربية أساساً للإسلام نفسه ، حتى أنه أوصى بأهل الاديبة خيراً لأنهم أصل العرب ومادة الإسلام<sup>(١)</sup> ، وقال : « يا أيكم وأخلاق العجم ، والإسلام نهضة عربية جمعت العرب على العجم ، وعمر أول خليفة فضل العرب وجعل لهم منزلة على سواهم ومنع من إزلالهم » ، ومن أقواله : « قبح بالعرب أن يملك بعضهم بعضاً ، وقد قسم الله عز وجل وفتح الأمانهم » ، وقدى سيايا العرب من الجاهلية والإسلام إلى أيامه<sup>(٢)</sup> عملاً بالحديث

(١) ابن الأثير ج ٣ ص ٢٥

(٢) ابن الأثير ج ٢ ص ١٨٦

المأثور « لأسباب في الإسلام » ويقول للمسعودي إن الفاروق كان لا يدع أحداً من العجم يدخل المدينة<sup>(١)</sup> ، وإذا كانت هذا حقاً فكيف سمح للمريزيان وأبو لؤلؤة بالسكنى فيها ، ولعل للمسعودي يريد أن يقول أنه لم يدع جماعة عديدة من الأمانهم تسكنها ، وإن كان يسمح أحياناً لبعض الأفراد بالإقامة فيها .

وعمر هو الذي قسم خير بين المسلمين وأخرج اليهود منها وقسم وادي القرى وأحلى يهود نجران إلى الكوفة لتغلق جزيرة العرب من غير العرب ، وكان كثير العناية بالجامعة العربية بوصي العرب بحفظ انساجهم لئلا تضعف عصبيتهم ، ومن وصاياه « تعلموا الدسب ولا تكونوا كنبط السواد إذا شئ أحدكم عن أصله قال من قرية كذا »<sup>(٢)</sup>

....

ومن حرص الفاروق على الجامعة العربية أنه حرض عرب الحجاز على سكنى العراق والشام<sup>(٣)</sup> فقال : « ليست الحجاز لكم بدار الأعلى النجمة - - سيروا سيف الأرض التي وعدكم الله في الكتاب أن يورثكموها » لعله أن في العراق والشام عرباً يتحدون

(١) المسعودي ج ١ ص ٩٩

(٢) ابن خلدون ج ١ ص ١٠٩

(٣) ابن خلدون ج ١ ص ٢٦١

معهم ويهتفونهم ويؤيدونهم ، وإذا كانت هناك فروق في اللهجات العربية فإن اندماج عرب الحجاز بعرب العراق والشام كقبيل بالزلة هذه الفوارق ، وإنشاء عصبية عربية قوية متحدة تتقدم الحجاز إلى مشارف الشام وظلال النيل في العراق .

والواقع أن نظرية الفاروق رضي الله عنه كانت موفقة كل التوفيق ، فإن عرب العراق حاربوا مع المسلمين ودلهم على عورت الفرس ، فأبو زيد الطائي حارب مع المسلمين في معركة الجسر حتى قتل ، وهو نصراني ، وأما حارب حبة لمزيته ، وثأيداً لمصرته ، وجاء المسلمين يوم واقعة (البويب) في العراق أسس بن هلال التبري في جمع عظيم من قبيلة التبري وهم نصاري وقالوا « مقاتل مع قومنا »<sup>(١)</sup> وكذلك فعلت جماعة من تغلب وغيرهم أبدوا المسلمين في حروبهم ونصحوهم سيف غزواتهم ، وحاربوا معهم ونمت رايات الإسلام ، وكانوا نصاري لا يؤمنون بجمدة ، وكل ذلك في سبيل الوحدة العربية والعصبية العربية .

وفعل عرب الشام مثل عرب العراق ، فأرشدوا المسلمين ونصحوهم ، حتى ذهب لأمس السوسي يرميهم بالخيانة والفجور وهم نصاري - لموقفهم الوطني وجيئهم العربية .

ولم يكن الفاروق يجهل هذه الرابطة ، فحرص المسلمين على

(١) ابن الأثير ج ١ ص ٢١٥

فتح الشام والعراق ، ولما رأى ما كان من نصرة عرب العراق للمسلمين ورفض عرب تغلب وإباد والتبر ، وهم نصاري دفع الجزية والعرب أباً كان دينهم بأن يكون دفع الجزية ، ففرض عليهم الصدقة كما لفرض على المسلمين ، وشرط عليهم أن لا يتصرفوا أولادهم من بعدهم<sup>(٢)</sup>



(١) المعارف لابن قتيبة ١٩٣

### الخليفة الظاهر الطيب

ولي الصديق الخلافة ، وليس الخلافة مورد ولا راتب ، فظل ما شاء الله أن يبقى وهو خليفة يقدو إلى السوق فيبيع ويتابع نفسه ثم نظر في أمره يوماً فوجد الخلافة والتجارة لا يتفقان ، وتحدث إلى عمر بن الخطاب بذلك فذهب به عمر إلى بعض الصحابة ، يأخذ رأيهم في ما يصلح أن يفرض خليفة للمسلمين ، ويكون صالحاً له ولعبياله ، فقرروا له سنة ألف درهم في السنة فلما حضرته الوفاة قال : « ردوا ما عندنا من مال للمسلمين فاني لا أصيب من مال المسلمين شيئاً ، وإن أرضي التي يمكن كذا للمسلمين بما أحببت من أموالهم » وذكر أشياء أخرى ، ودفع تلك كله لعمر بن الخطاب فقال القاروق : لقد أتيت من بعده

بمثل هذه العفة ، وبمثل هذه الطهارة ، وبمثل هذه البساطة في المعيشة تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه قيادة الأمة العربية لأول ظهورها بالاسلام وظهور الاسلام بها ، وسار على النهج عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فكان آية الله الكبرية في العدل والزهد والاغلاط في الحق والشدة على الأقوياء والرافة بالضعفاء

وباخلافه هذه النسق للاسلام ما النسق من الفتوحات كما انه شيات أبي بكر مجتاز الردة ان تجري مجراها في العرب ، وكان عمر من سداخة العيش بالمعام الذي لا يصل إليه احد .

قال عمر مرة : اني انزلت نفسي من مال الله منزلة مال البشير ان استغيت استغيت ، وان اقترت اكلت بالمعروف . . . . .

وورد في الآثار ان عمر مكث زمناً وهو في الخلافة لا يأكل من المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة فأرسل إلى اصحاب رسول الله فاستشارهم وقال : قد شئت نفسي في هذا الامر فما يصلح لي منه ؟ فقال عثمان بن عفان : كل واعلم . وقال مثل ذلك سعيد ابن زيد . فقال عمر لعلي : قا تقول انت في ذلك . قال عذراء وعشاء . فأخذ عمر بذلك . وجاء في طبقات ابن سعد ان عمر كان يقوت نفسه وإهله وبكسبي الحلة في الصيف فلا يبرح بلبسها ولا يندخل حتى يبرق وهي عليه وكانت كسوته ابداء اذن منها سيف العالم الذي قبله فكتبته في ذلك قصصة ابنته فقال لها : انما اكتبني من مال المسلمين .

وقالوا ان عمر بن الخطاب كان يستنق كل يوم له ولعبياله درهمين فقط ، ثم انه حج إلى البيت سنة فأنفق في حجه ستة عشر ديناراً ، فقال لابنه عبد الله : يا عبد الله بن عمر اسرفنا في هذا

المال ، وكان الدنار يائس عشر درهماً ، ومن الروايات عن زهد عمر ان ابا موسى الاشعري اهدى لعائلة عمر طمسة نحو ذراع وشبر ، فدخل عمر إلى البيت فقال : اني اتيكم هذه فقالت امرأته : اعداها لنا ابو موسى الاشعري ، فاختفها عمر فحضر بها الارض ، ثم قال علي بابي موسى وأتبعوه ، فأق به وقد ألتب وهو يقول : لا لا تعجل علي يا امير المؤمنين . فقال عمر : ما يحملك على ان تهدي لنفساني . ثم اخذها عمر فحضر بها فوق رأسه فقال : اخذها فلا حاجة لنا فيها

ومن اخبار عمر في زهده وتشفه انه كاد يهلك من قلة الغذاء عام المجاعة وقد توارثت الروايات على انه ما اكل سمناً ولا زيتاً ولا دافق لحاً حتى انتهت المجاعة ، وروي انس بن مالك انه حرّم على نفسه السمن عام الرمادة ، وكان يأكل الزيت . وكان في اثناء المجاعة يختلف إلى بيوت الفقراء ويصل لهم الطعام على ظهره ، وفي حديث عن عياض بن خليفة قال : رأيت عمر عام الرمادة وهو اسود اللون ولقد كان ابيض ، فتقول : من ؟ قالوا : انه كان يأكل السمن والبن فلما لعل الناس حرّم ذلك على نفسه فأكل الزيت ، واجاع نفسه كثيراً لونه وساء حاله

وقالوا يومئذ : انه لو لم يرفع الله الحبل عام الرمادة لظننا ان عمر يموت هماً بأمر المسلمين ، ونظر عمر عام الرمادة إلى بطيخة

في يد بعض ولده ، فقال : يفرغ يا ابن امير المؤمنين تأكل الفاكة وأمة محمد هزلي فخرج الصبي هارباً وبكى . فقال عمر : كيف حصل هذا الولد على هذه البطيخة فعمل انه اشتراها بكن من نوى ، وكان عمر يعلم عام الرمادة في المدينة بضعة الاف كل يوم على سفرته ، ويرسل القوت إلى المهاجرين الذين لا يقدرون ان يأتيوا اليه وإلى المرضى والصبيان ، وكان عدد هؤلاء نحو اربعين الفا . . . . .

وقيل انه دخل مرة على رجل فاستفاه وهو عطشان فإياه يسيل فقال ما هذا ؟ فقال : « عسل » فإني ان يشربه وقال : « لا يكون فيا احاسب به يوم القيامة » وحدث يسار بن خبز قال : ما نخلت لعمر الدقيق قط الا ولله ناس ، وحدث السائب بن يزيد قال : رأيت على عمر بن الخطاب ازاراً في زمن الرمادة فيه ستة عشر رقعة . وقال انس بن مالك : رأيت عمر بن الخطاب وهو يومئذ امير المؤمنين وقد رفع بين كتفيه برقع ثلاث لئلا يند بعضها فوق بعض ، وحدث علي بن زيد عن ابي عثمان النهدي قال : رأيت ازار عمر قد رقعه بقطعة من ادم ، واطعاً عمر جمعة بالصلاة تخرج ، فلما ان صعد للثب اعتمر إلى الناس فقال : انما جيتي قبضي هذا لم يكن لي قبض غير

وحدث عامر بن عبيدة الباهلي قال : سألت انساً عن الخرق قال :



وحدث أن الله لم يخلقه وما أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إلا وقد لبسه ما خلا عمر وابن عمر وحقيقة الحال أن مشرب عمر هذا في النصف والتغير على نفسه إنما كان مشرباً خاصاً يجعله عليه شدة الزرع وتصوره وهو أمير المؤمنين، أن في لمة الناس كثيرين يعيشون في شغل، فكان يأتي أن يكون في رعيته من يجمع وهو يشبع، ومن يأثر بالآدم وهو يلبس الخبز، والآن عمر رضي الله عنه لم يكن يحول أن الله تعالى قد أحل الطيبات من الرزق، وأنه لم يحل نفسه على الرفاهية بدون إسراف لجأز له شرعاً

وما ذكرنا هذه التنف من اختيار زهد عمر وشغل معيشته وخشونة ما كله وملبسه وتورعه الزائد فيما يستحقه من بيت مال المسلمين، إلا لنظهر أن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس يعدو أن يكون راعياً وليس له ما يفضل على الرعية إلا لقواء ومبالغ عدله وإخلاصه في خدمتها - وقد كان الخلفاء الراشدون بما تلقوه من تربية النبي صلى الله عليه وسلم لم يهتموا حتى هذه الرعاية ويعلمون أنهم إنما هم خدمة للأمة ومستولون عن التفتيش والجليل من أمرها - وكان عمر يقول لو مات جمل غيابة على شط القنات لحشيت أن يسألني الله عنه، وكان يقول «إنا عامل في ظلم أحدنا قبلنعني مقلته فلم أنبهها فإنا ظلمته»

وخرج عمر وهو أمير المؤمنين إلى مكة حاجاً فما ضرب فسطاطاً

ولا كان له بناء يستظل به، إنما كان يلقى كساء على شجرة فيستظل بظلها، وحدث الزبير بن زياد الحارثي قال: شكا عمر طعاماً غليظاً أكله فقال الزبير: يا أمير المؤمنين إن الحق الناس بطعام لين، ومركب لين، ومبلس لين لانت، فرفع جريدة معه فغضب بها رأسه وقال: أما والله ما أراك أردت بها الله وما أردت بها إلا مقاربتني هل تدري ما مثلي ومثل هؤلاء؟ قال: وما مثلك ومثلهم؟ قال: مثل قوم ساقروا قدفعوا نفقاتهم إلى رجل منهم فقالوا له: اتفق علينا - فهل يحل له أن يستأجر منها بشي؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: «فكذلك مثلي ومثلهم»

وحدث الأحفد قال: كنا جلوساً باب عمر فمرت جارية فقالوا لأميرة أمير المؤمنين فبلغ ذلك عمر فذعنا فأتينا فقال: ما هي يا أميرة المؤمنين يسرية وما تحل له أنما من مال الله؟ فقلنا فإذا يحل له من مال الله؟ فقال: أنا أخبركم بما يستحل منه: يحل لي حلتان حلة في الشتاء وحلة في الصيف وما أحج وما أحج عليه، وأحج من الظهر وقوتي وقوت اعلي كقوت رجل من قريش ليس بأغنام ولا أقرهم، ثم أنا بعد رجل من المسلمين يعني بي ما أصابهم - وكل الناس حفصة أن تكمل أباهما بأن يلبس من عيشه شيئاً فقالت: يا أمير المؤمنين إن قومك كلوا أن ثلثين من عيشك فقال: غششت أبالك ونصحت لقومك

ومن جعل سياسته أنه كان لا يرضى من عمله الشدة سيفاً، استيقظهم الحقوق واتخذ على ما أمر الله أن يؤخذ الناس به، بل كان يوصيهم بالرفق والائتاء والعدل وعدم الإيذاء في العقوبة

حدث ابن عمر عن أبيه قال: كنت مع عمر في صبح، فإذا نحن براكب، قال عمر: أرى هذا بطليبا، فلما أشرف علينا الرجل بكى، فقال له عمر: ما شأنك؟ إن كنت غارماً أعانك، وإن كنت خائفاً أعانك، إلا أن تكون قتلت نفساً فتقتل بها، وإن كنت كرهت جوار قوم صرفناك عنهم، فقال: التي شربت الخمر وأنا أحد بني نجيم، وإن أبا موسى جلدني وحلقني وسود وجهي وطاف بي على الناس، وقال لا تجالسوه ولا تؤاكلوه فحدثت نفسي بأحدى ثلاث: إما أن اتخذ سيفاً فأضرب به أبا موسى، وإما أن أتيتك فحولني إلى الشام فأنهم لا يعرفوني، وإما أن ألقى العدو فأكل معهم واشرب

فبكى عمر وقال: ما يسرني أنك فعلت وأنت لعمر كذا وكذا، وإلى كنت لأشرب الناس لها في الجاهلية، وأنها ليست كالزنا، فوكتب إلى أبي موسى الأشعري عامه يقول: «سلام عليك أما بعد فإن فلان أخيرني بكذا وكذا، وإني والله أن عنت لثلاثاً لأسودن وجهك ولاطوفن بك في الناس، بر الناس أن بالسوء، ويؤاكلوه فإن تاب فاقبلوا شهادته»

وحله عمر وأعطاه مائتي درهم. والخلاصة أن أمير المؤمنين الفاروق كان يحب رعيته حباً جماً، ويجب ما يصلحها ويكره ما يفسدها، سادها سياسة تفرقه إلى القلوب، فكان حقيقاً عن أموالهم عادلاً بهم، مسوياً بينهم لم يكن قوي يطمع أن يأخذ أكثر ماله، ولا ضعيف يخاف أن يضيع ماله، كان حكماً يرضع الشيء في موضعه، يشتد جناً ويلين حيناً وفقاً للأحوال والأيام.

عرف العرب معرفة تامة وعرف ما يصلح نفسها فسيرها في الطريق الأفضل للأقوم، وصيرها أمة حرة لا تستطيع أن تنظر إلى خسف يلحقها من أي إنسان، ولا أن تصير على ضيق من كبير أو عظيم، ولذلك تقول أن عمر انتعج بعده، لأن النفوس التي تحتل للعرب ما احتله عمر قليلة في الدنيا بانسرها، وابن هو الرجل الذي بقي نفسه في مصلحة رعيته، ولا يرى نفسه من الحقوق إلا ما لا دأبهم، مع تحمله مشقات الحياة والتعباء، ومشاكل الإدارة وصعابها، ولكن الفاروق كان شخصاً فوق الناس، وإن كان مثل الناس، رحم الله به هذه الأمة، فأرسلها لها هدابة ورحمة بعد رسول الله والصدقين....



## الخليفة السعيد

دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في صباح يوم من ذي الحجة سنة عشرين وثلاث للهجرة إلى مسجد المدينة للصلاة بالناس على عادته ، وفي يده الدرة التي لا تفارقه ، فاخترق الصفوف ، والناس ينسحبون له ويجوبونه بأحسن تحية ، حتى صار إلى الصدر فاستقبل الناس ليقوم صفوفهم ويبرز المتقدم منهم ، والدرة بيده يسوي بها الصفوف ويشير للستقدم أن يتأخر ، وللأخير أن يجازي الذي يجازيه ، فلما طأ إلى انتظام صفوف المسلمين التي بالدره إلى يمينه ، واتجه إلى القبلة للتكبير والصلاة ، وأبو لؤلؤة غلام المقبرة ابن شعبة في غمار الناس ، فلما حازه القاروق هجم عليه وفي يده خنجر له رأسان فضربه به ست ضربات بسرعة مذهشة أحداهن تحت سرتة ، فسقط أمير المؤمنين إلى الأرض صريخاً

وكان الناس قد ذهلوا لمول المباحة ، وسرعة الجارية ، فزاحوا والتوت صفوفهم ، ثم افلقوا من دعوهم وهجم بعضهم على أبي لؤلؤة يحاول إمساكه ، فأعمل الحجر فبهم خنجره يضرب بيداً وثمالة ، فأصاب منهم ثلاثة عشر رجلاً ، وألمهم الله أحدهم فالتقى عليه برأساً

فأعماه وشل حركته ، ثم تسكروا عليه فلما إيقن أنه هالك طعن نفسه بخنجره فسقط صريعاً بدوره

ونظر الناس إلى أمير المؤمنين وهو صريع على أرض المسجد وقد أحر ما تحته لكثرة ما نزل من دمه يحاولون إغاثة ، ومساعدته فردم رضي الله عنه بإشارة من يده وقال :

— أليكم عبد الرحمن بن عوف ؟

فالتفت الناس ينظرون ، فإذا ابن عوف يفرمهم ويقول :

— نعم يا أمير المؤمنين

فقال القاروق : تقدم فصل بالناس ...

وكانت القاروق لا يشغلها خطب عن دينه وواجبه ، ولا يجرؤ أحد على خلافة من هيئته ، ففعل ابن عوف بالناس صلاة خفيفة ، وعبوت الناس على السيد السجى ، وهو ساكن ، وأدع معتد على الأرض برفقه ، يصلي معهم بنفسه ، فلما انتهت الصلاة احتلوا إلى داره ، واليون باكية والقلوب واجمة ، والاعتدة مضطربة ، وقد إيقن الجميع أن الإسلام والعريفة يفتان في فترات من الزمن عظيمة للمصاير بعيدة الأثر

وإن أبي لؤلؤة فيروز غلام المقبرة بن شعبة ، فارسي من نولند تعلق بأمر المؤمنين يوماً وهو يطوف في السوق وراح يقول :

— إن مولاه المقبرة يمن في المراج الذي ضربه عليه ، ويرحمته بما يتقاضاه منه ، ويسأله التخفيف عنه

فسأله القاروق : كم خراجك ؟

فقال : درهمان في كل يوم

فسأله : وما صناعتك ؟

فقال : نحس نقاش وحداد

فقال أمير المؤمنين : ثلاث صناعات في يدك ، وتشكو رقة الحال وتشكو درهين ، إلى لا أرى خراجك بكثير لما تصنع من الأعمال

وعاد أمير المؤمنين يسأل غلام المقبرة فيقول :

— لقد بلغني أنك تقول لو أردت أن أعمل ربحي تطحن بالربح لعملت ؟

فقال الجاني : نعم

فقال القاروق : فأعمل لي ربحي

فقال الجاني : أين سلمت لأعمل لك ربحي يتحدث بها من بالشرق والغرب

ثم انصرف عنه ، فأنجمه القاروق بنظره وهو يقول :

— لقد توعدي العبد ..

وحدث عبد الرحمن ابن أبي بكر أنه رأس عتبة الفاجعة الهرمزان الفارسي وجفينة النصراني ولأبو لؤلؤة هذا ، وهم يتناحون ، فلما رأوه اضطربوا ، وسقط من أحدهم خنجر له شعبتان هو نفس الحجر الذي ضرب به أبو لؤلؤة أمير المؤمنين ، فبناذا كانوا يتناحون في غلب الليل ، وهذا فارس النحبي ، وذلك نصراني عربي ، وثالثهم جلوله المقبرة ؟

وماذا جمع العربي النصراني ، والفارسي الجهمي ، وإن كان هذا قد تقل الإسلام ديناً ... ؟

ومن العلوم أن الهرمزان كان من قواد القرس الذين هزمهم سعد بن أبي وقاص ، وقد افرق الهرمزان قبل انهزامه بسكاية العرب وتخربض القرس والبهاتين وفلاح السواد على جيوش المسلمين ، ولم يتقبل الإسلام ديناً إلا حين إيقن أنه مقتول لا محالة ، وإن نجاته بإسلامه ... وقد سبق له أن عاهد المسلمين على عدم حربه ، ثم نقض عهده !! ومثله خليق أن يطعن العداوة للعرب ، ولا يتفرغ لهم أنهم مزقوا عرش الأناصرة ، وغلبوا على بلادهم وجيوبهم ، وسودوا بين الناس فلا سيد ولا مسود ، ولا شريف ولا وضع

أما جفينة نصراني من نجران ، أتى به سعد بن أبي وقاص ليعلم الناس الكتابة ، وقد كان القاروق رضي الله عنه ، قد خشي انتفاض الصاري في نجران على الإسلام وهو في حرب القرس

### عمر بن الخطاب

قادر عمر بن الخطاب مسجد رسول الله في المدينة ، ظهر يوم الاثنين لثلاثة عشر خلون من ربيع الأول سنة إحدى عشرة للهجرة ( ٨ مايس ٦٣٣ ) وهو مضطرب الفكر ، مشتت الخاطر ، مكسوم الفؤاد ، حائر النفس يحس بالقباض في نفسه ، ورغبة في البكاء تمتلج في عينيه ، لما يقف حقا بانتقال رسول الله ( صلى الله عليه وسلم ) الى الملأ الاعلى ، وفراقه لانصاره وصحبه فراقا لا اجتماع بعده . . . . .

وكان ابو بكر وبني عاتمة في هذه الفترة يتكلمون تجهيز رسول الله ليصار الى دفنه في الموضع الذي قبض فيه ، وكان من حق عمر ان يكون بينهم وان يعمل معهم ، ولكنه وهو الشديد القوي ، ما كان يستطيع البقاء في المكان الذي قبض فيه رسول الله طويلا ، فخرج مشقفا على نفسه ، واخذ يمشي في هذه الازقة التي تقوم حولها منازل المهاجرين والانصار ، لا يابه لشيء ، ولا يعرض باحد .

لقد كانت الصخب من حوله شديدا عظيما ، وكانت



والروم ، فاجلهم من جزيرة العرب ، ثم عوضهم ولوسم لهم من الارض في الشام والعراق ، واعطاهم خيرا مما تركوا ثم هزم المسلمون جيوش هرقل وهو حامي النصرانية ، فخبية النصراني لا بد وان يكون ناقم لذلك ، غاضب لتسقط العرب والاسلام ، ولا يعد ان يكون قد وجد في المرزبان حليفا ونصيرا ، وفي قيروز الفارسي اداة صالحة لارتكاب الجريمة .

وهناك شخص آخر ، ليس لدينا شك اليوم في انه كانت له يد في هذه المؤامرة ، لان مقتل الفاروق لم يكن الامورة الجمعية على رجل لو خلى بينه وبين الحياة لاكتسح الاسلام سبيل عصره وعهد كل العالم من انقضاء الى انقضاء ، فبهذه خلافة وهي لا تضطرب في اكثر من عشر سنوات قد ملأ بها الارض فتوحات ، ونصب للاسلام آلاف المناير ، فاذ كان يتم للاسلام من الظهور لو عاش في الامارة غير هذا القدر من الاعوام . . . . .

جاء كعب الاخبار رابع المتأخرين الى امير المؤمنين قبل الجريمة بايام ثلاثة وقال له :

— يا امير المؤمنين امهد فانت ميت في ثلاثة ايام !  
فقال الفاروق : وما يدريك ؟

قال : اجده في كتاب الله التوراة . . . . .

فقال عمر : الله . . . . . انك تجد عمر بن الخطاب في التوراة ؟  
قال كعب : لا ولكن اجد صفتك وحليتك وانه قد قتي اجلك !  
وعمر لا يحس وجعا ولا لئلا . . . . .

فلما كان الغد عدا كعب على امير المؤمنين فقال :

— يا امير المؤمنين ذهب يوم وبقي يومان . . .

ثم جاءه في غد الغد ، وقال :

— ذهب يومان وبقي يوم ويلة وفي لك الى صبيحتها . . .

وكعب رجل يهودي ، رأى الاسلام بعلو ، وبشوا امره وخطره لا يقف في سبيله دين ولا قوة ، فادرك وهو الذي الداعية ، ان الاسلام واصل لتأنيته ، وان هذه الروح السابعة ، وهذا الجاس العظيم ، وهذه التضحية الماثلة ، التي نعم بها بنوه ستغلب الارض حتما ، وستفتح العالم من مشرق الارض الى مغربها ، فلما اطمان الى ذلك اسلم وهو على مثل اليقين من ان اسلامه هذا سيكسبه عزاً لم يكن له في قومه ، وبين اليهودية في عهده .

وكعب يهودي عالم يقرأ التوراة بلسانه دون لسان العرب ، وفي اسفارها من العبيات والافاظ ما لا يمكن ان يفقه احدا من العرب ، ولو تعلم العبرية ، فهي اذن مجال مسيح للاختلاف بلقيه الى المسلمين يفسد عليهم امرهم ، وبهدل من نقادة دينهم وصفاه عقيدتهم .



وقد نال الرجل بين المسلمين أول نشوء الدولة الإسلامية مركزاً رفيعاً ممتازاً ، وكان كثيرون يعتقدون أن توارثه فيها علم كل شيء ، وأنه صادق فيما يجهر عنه ، خصوصاً بعد أن تحقق قوله في مقتل عمر ، فأمن كثيرون بهذه الأسرار التي نقلها وأدخلها في تضاعيف التاريخ ، وكان هو لا يدري من حقيقتها سوى أنه مبتدعها ، وكان يسند كلامه إلى التوراة والتوراة خالية عما كان يؤمن به على الناس ، وهذه التوراة بين أيدينا نقرأوها وليس فيها شيء مما كان يقول كعب الاحبار في سالفات الأيام .

والواقع أننا لا نشك اليوم في أن حكاية اخياره للفاروق بصره على هذا الوجه المروي - وليس لدينا ما يكتفيها - تدل على أن كعباً كان على علم بما دبره فيروث أبو لؤلؤة من اغتيال أمير المؤمنين ، وأن خطة الاغتيال كانت معلومة لديه معروفة عنده ، وإلا لارد باخرا عمر على هذا الوجه أن يزيد منزله عند المسلمين وينال حظوة لديهم ، وتكون رواياته وإسايليره أكثر قبولاً ، ولمضي قولاً . . .

ويسأل الفاروق عن قاتله فإذا عرف أنه أبو لؤلؤة غمره الفرح ، وظهر الاستبشار على وجهه ، فقد كان يريد أن لا يكون قاتله مسلم يحاجه أمام الله في « لا اله الا الله »

ويفرق أمير المؤمنين في الاطمئنان فيبحث احد الصحابة يسأل الناس من ساجدين وانصاره عن ملأ منهم كان هذا فيقولون لا والدموع تنساقط على الوجوه والى ، وكيف يرضى مسلم عربي يقتل عمر بن الخطاب ، وهو الذي اعز الاسلام ، وفتح الفتوح ، واعز الله به الدين ، ووطأ جند الاسلام عواصم القياصرة والاكاسرة من فرس ورومان . . .

وجاء الطبيب يسمى وقال : لسيه الشرب احب الى أمير المؤمنين ؟

جني . له بقميص الثمر فسقاه ، ففرج على حاله من الجرح ، ثم سقاه اللبن ففرج على حاله ، فأيقن أنه ميت وأنه لما به .  
ورسل الفاروق يستأذن عائشة في أن يدفن بجانب صاحبيه رسول الله والصديق ، فأذنت له ، وكانت تريد هذا للمكان لنفسها ثم دعا ابنه عبد الله فقال له :

- يا بني اني قد ارسلت الى عائشة استأذنها ان ادفن مع اخوتي فأذنت لي فوالا اخشى ان يكون ذلك لمكان السلطان ، فإذا مت فاضلني وكفني ثم احلفني حتى تغف لي على باب عائشة ، فتقول :

هذا عمر يستأذن بان يدفن مع اخويه ، فإن اذنت فادفني معها

والا فادفني بالقيم . . .  
قال ابن عمر فلما مات أبي حذاه حتى وقفنا على باب عائشة فأذنت بدفنه بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجانب أبيها ، وكان قد دفن أبو بكر على مساواة منكب رسول الله فدفن عمر على مساواة حقويه .

وكانت وفاة عمر عن ثلاث وستين سنة ، وقد طعن يوم الاربعاء ثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٣ للهجرة ، ودفن يوم الاحد صباح هلال الحرم ، وكانت مدة خلافته عشر سنوات وخمسة اشهر واحد عشر يوماً .

وغسل الفاروق ثلاثاً بالماء والسر ، وقد الوصى ان لا يغسلوه بمسك ، وحلى عليه سيف مسجد رسول الله بين القبر والنبير ، وكان للحلى عليه صهيب ، فلما انتهى من الصلاة عليه وقف عبدالله ابن سلام فقال :

« ان سبقتوني بالصلاة عليه ، لا تسبقوني بالكاء عليه ، »  
وتقدم حتى وقف امام سريره فقال :

« نعم اخو الاسلام كنت يا عمر جواداً بالحق ، بخيلاً بالباطل ، ترضى حين الرضى ، وتغضب حين الغضب ، عفيف الطرف ، طيب الطرف ، لم تكن مداحاً ولا مفتاحاً »

واق علي (١) وعمر مسجى فقال : « ما على وجه الارض رجل احب اليّ من ان اتى الله بصحيفة من هذا المسجى »  
وبكت أم ايمن عند وفاة عمر وقالت : « الان وفي الاسلام » وقال عبد الرحمن بن غنم يوم مات عمر : اليوم اصبح الاسلام مولياً ، ما رجل يارض فلاة يطلبه العدو قائلاً آت فقال له : خذ حذرلك يا شد فراراً من الاسلام اليوم . . . وعن زيد بن وهب : اتينا عبد الله بن مسعود فذكرنا عمر فبكى حتى ابل الحصى من دموعه وقال : ان عمر كان حصصاً حصيماً للاسلام يدخلون فيه ولا يخرجون منه ، فلما مات عمر اتمم الحصن ، فاناس يخرجون من الاسلام . . .

وابكى سعيد بن زيد يوم مات عمر وقال :  
« اليوم يمى امر الاسلام ، وفي رواية قال : على الاسلام ايكي ، ان موت عمر ثام الاسلام ثامة لا ترقى الى يوم القيامة ، ولا يبيد في الجراح في عمر بن الخطاب كلام قد صح كله قال : « إذا مات عمر ارتد الاسلام ما احب ان لي ما تطلع عليه الشمس او تقرب وان ابقى بعد عمر ، قال قائل : ولم ؟ قال : سترون ما اقول ان بغيره ، لانه اذا ولي وال بعد عمر فصار يمثل شدته وحزمه

(١) اورد هذا الخبر محمد بن سعد في طبقاته وقد ساقه من ثلاثة عشر طريقاً باساليب مختلفة مع اختلاف قليل في اللفظ الحديث .



لم يطعمه الناس ولم يحمله ، وان ضف عنهم قتله ١٢٠٠  
وقال حذيفة : كان الاسلام في زمن عمر كالرجل المتبل لا  
يزداد الا قريبا ، فلما قتل رحمه الله كان كالرجل المدبر لا يزداد  
الا بعدا . . .

وقال الشاعر :

جزى الله خيراً من امير وباركت يد الله في ذلك الادب المزيق  
فمن يسم اويركب جناحي نعامه ليدركه قدمت الامس يسبق

.....

وكذلك كان امير المؤمنين رحمه الله ورثي عنه ، ونحن لا  
نبالغ اذا قلنا انه قلما وجد امام الجند بسلام الله ورضوانه من هذا  
الامام ، وانه معهما جند الخلفاء والملوك المادون فلن يدركوا شأوه  
ولن يصلوا الى بعض ما وصل اليه ، فهذا اسمه ما يزال مقرب المثل  
في العدل والجرأة والحق ، وهذه هيته ما تريح حديث الناس من  
عرب وانجام ، وهذا اسمه ما يزال حديثاً سائراً بين الناس الى  
يوم الناس

.....

## ديموقراطية الاسلام

هذا امير المؤمنين عمر بن الخطاب مسجى في غرفته وهو المهاجرون  
والانصار يدخلون عليه افواجا افواجا وكلهم مشفق مضطرب ،  
وبالك والله ، ويحزون مسكود ، وامير المؤمنين يسأل ابنه عبدالله  
ابن عمر : كم عليه من الدين ؟

فيقول له : ستة وثلاثين الف درهم

فيقول الفاروق : يا عبدالله ان في لما مال آل عمر ، فادعها عني  
من اموالهم ، وان لم تقى اموالهم فاسأل فيها بني عدي بن كعب فان  
لم تقى اموالهم فاسأل فيها قريشاً ولا تعدم الى غيرهم  
ويتحدث اليه جماعة الصحابة بان يستخلف فيقول : لا اجد  
احداً احق بهذا الامر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلوات  
الله عليه وهو منهم راض ، فاقبم استخفاف فؤاد الخليفة من بعدي ،  
وسمي علياً وعثمان وطليحة والزبير وعبد الرحمن وسعداً  
وقال الفاروق يوصي الخليفة من بعده : اوصي الخليفة من  
بعدي بتقوى الله ، والمهاجرين الاولين ان يحفظ لهم حقهم ، وان  
يعرف لهم حرمتهم ، واوصيه باهل الامصار خيراً ، فانهم ردوه

وسكت الفاروق برهة ثم قال : لو ادر كني احد رجلين فعملت  
هذا الامر فيه - يريد الخلافة - لما ترددت به ، سالم مولى ابني حذيفة  
وابني عبيدة عامر بن الجراح  
فاما ابو عبيدة فقد صرح عن رسول الله انه لما قدم عليه اهل  
اليمن ، وسأله ان يسمي معهم رجلاً يعلمهم السنة والاسلام ، اخذ  
بيد ابني عبيدة وقال : هذا امين هذه الامة -  
وقال عمر جلسائهم يوماً فقالوا : ..

فتنق كل واحد بما حضره فقال عمر : لكي اتني بيتاً مبتلياً  
رجلاً مثل ابني عبيدة ، وتسمع بعض الصحابة الفاروق يقول وهو  
مسجى في داره : لو ادر كنت ابني عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما  
شاورت ، فان سئلت قلت : استخلفت امين الله وامين رسوله  
وكانت وفاة ابني عبيدة وهو القائد العام للجيش الاسلامي  
في سورية وقلسطين رحمه الله في طاعون مولى في خلافة الفاروق  
سنة ١٨ للهجرة ، وبلغ من بره باهله انه قال : وددت اني كيش  
فذهبي اهلي فاكوا الى وحسوا رقي .

ووقف يوماً وهو امير الشام يخطف الناس وقال : يا ايها  
الناس اني امروا من قريش ، وما متك من احد احمر ولا اسود  
يفضلي بتقوى الا وددت اني في جلد .

واما سالم مولى ابني حذيفة فلم يكن معروف القسب ، وكان

الاسلام ، وغبط العدو ، وجباة المال الا ان يؤخذ منهم فضاهم  
وعن رضى منهم ، واوصي بالانصار الذين توالوا الدار والايمان ان  
يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئتهم ، واوصيه بالاعراب خيراً  
فانهم اصل العرب ومادة الاسلام ، وان يؤخذ من حواشي اموالهم  
فيرد على قرائتهم ، واوصيه بذمة الله وذمة رسوله ان يوفي لهم بعدهم  
وان لا يكفوا الا طاعتهم ، وان يقال من ورائهم

ومن تأمل في قول الفاروق « وان يؤخذ من حواشي اموالهم  
فيرد على قرائتهم » وجد فيه ظاهرة اشترائية خطيرة ، اخذت  
الامم الغربية في الاعول الحاضرة تعمل بها وتشرع القوانين والنظم  
لاقرارها ، وما هذه القوانين الاجتماعية الاوربية الحديثة الا تفسير  
لهذه الظاهرة التي دعا اليها الفاروق في بحر الاسلام ، والتي معناها  
ان يؤخذ من الموازنة الحكومية العامة مالا يصرف لاثالة للموزين  
والمرضى والماعطين عن الاعمال

.....

وروي ان سعيد بن زيد قال لسر : لو اشترت برجل من  
المسلمين اتدرك الناس  
فقال الفاروق : قد رأيت من اصحابي حرصاً شديداً على ما جامل  
هذا الامر الى هؤلاء النفر الستة الذين مات رسول الله وهو  
عنهم راض . . .

رسول الله قد آتى بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح .  
ولقد نقضنا هذا الخبر في عرض بحثنا لنقول : أنه ليس من أمة  
على وجه الأرض بلغت فيها الديموقراطية ما بلغت في الإسلام ، فانت  
تري أن أمير المؤمنين رضوان الله عليه ، الذي يقول فيه الرسول  
المعظم « لو كان نبي بعدي لكان عمر » قد رشح الخلافة على المسلمين  
مولد أصله انجسي ، ونسبه الأصلي غير معروف وهو سالم مولد أبي  
حذيفة ، وانت ترى أن أمين الأمة أبا عبيدة بن الجراح يقول أنه  
قرشي ، ولكنه بمعنى أن يكون في جلد زنجي إذا كان هذا بفضل  
بالتقوى وصالح الأعمال .

وبعد فنحن لا نعرف من مزية في الإسلام غير التقوى والعمل  
الصالح « انت اترسمك عند الله القاكم » لا بعد لها حسب ولا  
نسب ، ولا يقوقها فراء ولا معرفة ، ولا تزال كلمة الفاروق  
مناراً يتبدي به المؤمنون ، ويسير تحت ظلاله العاملون ، قال عمر :  
« والله لو جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فم أولى بحمد  
من أوم يوم القيامة ، فلا ينظر رجل إلى القرابة ويعمل لما عند الله ، فمن  
قدّر به عمله ، لا يسرع به نسبه »

ودعا أمير المؤمنين الستة الذي جعل الأمر شورى بينهم  
فلم يكلم منهم إلا علياً وعثمان فقال لملي : يا علي لعل هؤلاء القوم

فلم يكلم منهم إلا علياً وعثمان فقال لملي : يا علي لعل هؤلاء القوم  
يعرفون لك قربانك من رسول الله وصهرتك وما أتاك الله من الفقه  
والعلم ، فإن وليت هذا الأمر فأتق الله فيه ولا تجعل بني هاشم على  
رقاب الناس ، ولوصي عثمان بأن لا يجعل بني أبي معيط على رقاب  
أولاد علي هذا الأمر

ثم قال لهم : قوموا فتشاوروا فامروا أحدكم ، ثم دعا بابي  
طلحة الأنصاري وقال له : يا أبا طلحة كن في حسين من قومك  
من الأنصار مع هؤلاء . انظر أصحاب الشورى قائم فيما حسب  
سيجتمعون في بيت أحدكم ، قدم على ذلك الباب يا صاحبك ، فلا  
تترك أحداً يدخل عليهم ، ولا تتركهم يمضون اليوم الثالث حتى  
يوتمروا أحدكم ، وليصل حسب الناس ثلاثاً ، فإذا اجتمع هؤلاء  
على رجل فاضربوا عنق الخائف

### انتهي الكتاب

(١) اما قصة الشورى فمعرضها في كتابنا من (عنان بن عفان) ليست  
فيه الأسباب التي دعت أمير المؤمنين إلى إقرارها والتوزيع لها . دون  
غيرها وسواها

### مصادر الكتاب العربية

اسم الكتاب	المؤلف
فتوح الشام	الواقدي
السيرة النبوية	لأين هشام
الطبقات الكبرى	لأين سعد
الأمانة والسياسة	لأين قتيبة
المعارف	"
فتوح البلدان	لأين ندي
انساب الاشراف	"
تاريخ اليعقوبي	لاحمد بن يعقوب
تاريخ الامم والملوك	لأين حنبل
البلد الفريد لملك السعيد	لأين سعد
الاغانى	لأين حنبل
تاريخ ابن خلدون	لأين حنبل
انساب القرشيين	لأين حنبل
الاصحاب	لأين حنبل
تاريخ دمشق	لأين حنبل
معجم البلدان	لأين حنبل

اسم الكتاب	المؤلف
الكمال	لأين الاثير
اسد القابة	"
الكمال	لأين الاثير
اختصار في اخبار البشر	لأين الاثير
الاصابة في تمييز الصحابة	لأين حجر المفلحاني
صحيح البخاري	لأين البخاري
تاريخ الخلفاء	لأين البخاري
شرح نبيح البلاغة	لأين أبي الخديج
عمودين الناس	لأين ابراهيم حسن
فتوح مصر واعمالها	لأين اسحق
وفيات الاعيان	لأين عليكان
الاشري	لأين طباطبائي
فتوح مصر	لأين عبد الحكيم
الفد التريد	لأين عبد ربه
مختصر تاريخ الدول	لأين البكري
المواظف والاصيار	لأين البكري
مروج الذهب	لأين البكري
الحفاد الرشيدون	لأين البكري
تاريخ الامم الاسلامية	لأين البكري
التدوين الاسلامي	لأين البكري
الانوار	لأين السلام
كتاب الخراج	لأين يوسف
"	لأين يحيى بن آدم



اسم الكتاب	المؤلف
فتح العرب للشام	قحطاد
الاعبار المطاول	لديتوري
تاريخ التشريع الاسلامي	لتخفيري
نجر الاسلام	لاحمد تين
حاضر العالم الاسلامي	تليفات الامير شكيب
خبط الشام	لحمد كرك علي
الادارة الاسلامية في عر العرب	"



## المصادر الانكليزية

اسم الكتاب	المؤلف
مختصر تاريخ العرب	لسيد امير علي
فتح العرب لمصر	لانورد بطلر
تاريخ فارس	لبنجامين
الامبراطورية البيزنطية	لاومان
العرب	لجيفان
الحلافة قديما وحديثا	لنسر وويليام بوير
سيرة كرك دي طولي	لدي طولي
تاريخ التواريخ	طبع جامعة كوريج
وسية الاسلام	لكتاب مختلفين
عظمة الاسرطورية الرومانية وحديثها	لليون
التاريخ العام	لور
مقالات مختلفة	لجيب
"	لرغويوت
دائرة المعارف البريطانية	"



## المصادر الفرنسية وغيرها

اسم الكتاب	المؤلف
الثلاثة	لانس
تاريخ سورية	"
تاريخ العرب	لحوار
الاسلام	لماسيه
"	لموتيه
تدين العرب	لوسناف فونون
حيات محمد	لدرمنهام
عقيدة الاسلام وشريعته	لوك سيز
اوليات الاسلام	لبرنس كينالي
رسائل ومقالات مختلفة	لبلد كيه الالالي
"	لغارتن
"	لفون كوريج
"	لمونتر
"	لميرك هرويه
"	لغرويه
"	لدي
"	لدينه

دائرة المعارف الاسلامية  
دائرة المعارف الانكليزية

## فهرس الكتاب

صفحة	المؤلف
٥	خرائط ورسوم
١١	مقدمة الكتاب
١٧	حضر بن الخطاب
٢٤	زحف الكتاب العربية
٣٣	استعداد امير المؤمنين
٤٢	القادسية
٤٧	الايام الثلاثة
٥٨	تنبأ الامبراطورية الفارسية
٦٧	نهاية الاكسرة
٨٠	عظة الفتح الفارسية
٩٠	الوقية العربية على سورية وفلسطين
١٠٠	حصار دمشق
١١٢	الفتحات في سورية وفلسطين
١٣١	الفتح في فلسطين
١٣٨	الرحل على مصر
١٤٥	ملاحظات الصالح وشها
١٥٣	انتصاح الاسكندرية
١٥٣	مكتبة الاسكندرية
١٥٨	نظرة في فتح العرب لمصر



تبلغه اصوات هذه الجملات التي تمدو على مقربة منه ، ويقع سبط اذنه ما تخاور به بعضها بعضاً من كانت الاسبى والحزن ، ولكنه كان في شغل عن ذلك كله ، في شغل بما دم الاسلام والعرب من رزء عظيم ، وويل كبير ، ما كان يوفق عمر الى تحليه وادراك كنهه ، ولا كان يحسن الاتصال بالتيب ومستقبلات الايام ، ليعلم مصائر هذا الرزء ، وخطره وشأنه .

ويعود به الفكر الى سائقات الاعوام ، وكيف دخل في الاسلام بالحية التي كان يجازيه بها من قبل ، وكيف راح يعلن اسلامه الى الملا من قريش ، ويأين الصلاة مستتراً ، فيذهب ومعه رجال من المسلمين يصلون امام الكعبة وعلى ملا من حاشتها واصحابها ، وكيف ابتعث قريش عندئذ ان دعول عمر في الاسلام قد احدث خرقاً جديداً في صفوفها ، وان ما نال به محمداً واصحابه من الاذى يوشك ان يثير حرباً اهلية لا يعرف احد مداها ، ولا من تدور عليه دائرتها ، ذلك انه قد اسلم من مختلف قبائل قريش وبيوتاتها رجال ثور لقتل اي واحد منهم قبيله ، ولن كانت لا تؤمن بما يؤمن به ، وهو ما حمل قريشاً على التريث في ابتلائها للمسلمين وراحت تفكر في القضاء على محمد واستصاله ، فيموت عندئذ دينه ، وتنفق شيعته .

ويذكر عمر فيما يذكره من هذه الماضيات الرائعة هجرة الرسول

صلى الله عليه وسلم الى يثرب ، وما اخذه على نفسه من مصالحة قريش ومخاربتها حتى تؤمن بالله ، وما اغترله من دعوة العرب الى الله والاسلام حتى يقولوا لا اله الا الله ، وكيف انه قد وقف مع رسول الله في كل غزواته وحروبه ، ينصر دين الله بنفسه وصدره ، ويدعو اليه بالحمى والسيف ما كان الى ذلك سبيل والآن وهذا رسول الله مسجى في داره ومسجده ، فمن يكون خليفته ، وما يكون مصير هذه العصبة من المسلمين من بعده ؟؟؟

....

والحركة حول عمر بن الخطاب متصلة ، تبلغه اصوات الناس الذين يسرون على مقربة منه ، فيخلص اليه بعض كلامهم ، ويلوب البعض الاخر في الفضاء ، ويرى القوم ان عمر لا يلوي على شيء ، وانه يحاول التخلص لنفسه والانتفاع عن ما حوله فيخلون بينه وبين هذه الرغبة فلا يعرض له سائر ، ولا يقف دون طريقه صديق او خليل ويقرب منه جماعة احد المهاجرين ويحدثه بما اعتزمه الانصار من اجتماع في السقيفة يولون فيه اميراً عليهم ، يكون خليفة رسول الله وليس هنا مجال التبسط في حديث السقيفة فقد جلتونا ذلك في كتابنا الاول ( ابو بكر الصديق )<sup>(١)</sup> وانما نريد ان نعرض هنا

(١) يطلب من المكتبة الاعلى وثمنه ١٠ غروش سورية

اظهاره جديدة وهي ما زعمه مؤلف ( نشأة الدولة الاسلامية ) في كتابه « عن فريق المهاجرين وتأيدهم لابي بكر » والواقع غير ذلك ، لان خلافة ابي بكر كانت فلتة - كما اعترف بذلك عمر نفسه - فقد وقعت دون ما انتظار ولا استعداد ، ولم يحضرها من المهاجرين غير ثلاثة نفر ، ولولا شدة عمر وجراسته ، وتقدمه الى ابي بكر يبايعه ، ويدعو الناس الى مبايعته - مخافة ان يطول الحوار في السقيفة ، ومخافة ان يشتد ويضطرب في خصوصية عتيقة ليس يعرف احد مصايرها ، لتبدل الحال ، وتغير وجه العالم والاسلام .

....

وبعد فهذه فترة اخرى من الزمن يخلها عمر في خلافة ابي بكر وبين يديه ، ويقضيها في خدمة الخليفة الجليل وتميز الاسلام ، فلا يخرج خليفة رسول الله من دنياه الا وهو راض عنه ، ولا يقادر هذه الحياة الا وهو مطمئن الاطمئنان كله الى ان عمر ابقى الصحابة واصحابهم لتولي الحكم من بعده ، وتعمل هذه الاعباء العظيمة السكادحة بد وقاته .

دخل عليه طلحة بن عبيد الله وهو في مرضه فقال : « انه باغني انك يا خليفة رسول الله استخلفت على الناس عمر ، وقد رأيت ما يلقي الناس منه وانت معه ، فكيف به اذا خلاهم ، وانت غداً لاق ربك فيسألك عن رعيتك ... »

فقال ابو بكر : ايا الله تقوي ؟ اذا قبضت ربي فسألتني قلت : استخلفت عليهم خير اهلك .

فقال : عمر خير الناس يا خليفة رسول الله ؟

فاثبت غضب الصديق وقال : اي والله هو خير من وانت شرم .

وكذلك عهد الصديق الى عمر بن الخطاب بالخلافة بعد ان اجال رأيه واعمل فكره ، فرأى ان هذا الامر لا يصلح آخره الا بما صلح به اوله ، ولا يجتمه الا افضل العرب مقدرة ، واملكهم لنفسه واشدهم في حالة الشدة ، واسلمهم في حالة اللين ، واعلمهم برأي ذوي الرأي ، لا يتشاكل بما لا يعينه ، ولا يجزن لما يثزل به ، ولا يستحي من التعلم ولا يتحير عند البسطة ، قوي على الامور ، عادل فاسط .

وكذلك كان امير المؤمنين القاروق رضي الله عنه

\*\*\*

والواقع ان الصديق رضي الله عنه قد وفق لكل التوفيق في اختياره وكان من اصدق الناس فراسة ، واخلصهم لله ، ورسوله لما قاد الخلافة للقاروق بذلل مراسها ويقودها ، ولوانه ترك هذا المركز شاعراً ، لتنازع المسلمون بسببه ، ولشغلوا عن اعدائهم لأجله ، وكان وجه التاريخ تغير عما هو عليه اليوم ، ولكانت فتنة القوم بالخلافة انكر واشد من فتنة الردة .

والله عمر بن الخطاب بعد الفيل ثلاث عشرة سنة<sup>(١)</sup> وكان من اشرف قريش ، وواله كانت السفارة بين الجاهلية ، وذلك انه اذا وقعت بينهم حرب ، او بينهم وبين غيرهم ، يثبته سفيراً ، وان تافروا منفر او فافترهم مفاتر رضوا به ، يثبته مفاتراً ومفاتراً ، وقد اسلم رضي الله عنه بعد اربعين رجلاً واحداً من عشرة امرأة .<sup>(٢)</sup>

شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتوفي الرسول وهو عنه راض ، وولي الخلافة بعد ابي بكر ، بومع له بها يوم مات الصديق باستخلافه له سنة ثلاث عشرة ، فصار بالحسن سيرة ، وانزل نفسه من مال الله بمنزلة رجل من الناس ، وفتح

(١) هو عمر ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله ابن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب القرظي العدوي ، رماه حسنة بنت هاشم ابن المنيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

(٢) الاستيعاب لابن عبد البر ( طبعة الهند )

وقد ذكر ابن سعيد في كتابه « ثناء الدولة الاسلامية » ان عدد الذين اسلموا قبله ، امرأة واحدة ، ومع انه اذا اخبرنا ان الذين اسلموا من النساء هن من عائلة الرسول فقط فقد كان عدد النساء في العائلة اكثر من ذلك ... قبل نسي المؤلف اسلام فاطمة اخت عمر وقد ذكرها في كتابه ، وابن خديجة زوج الرسول وكانت قبلها اسلماء ، واخيراً ابن بنت الرسول وقد كن من اول الناس اسلاماً . . . . .

الله له الفتح بالشام والعراق ومصر وغيرها من الامصار والممالك ، وكان رضي الله عنه ، طويلًا جسيماً اسلم شديد الصلح ، ابيض شديد حمرة العينين ، وكان صعباً عظيم الملية شديد السياسة ، لا يجاني احداً ، ولا يراقب شريكاً ولا مشروفاً ، وكان اكابر الصحابة يتحامونه ويتفادون من لقائه ، وكان في اخلاقه جفاء ، وفي كلامه شدة ، ولولا شدته لما استقام للملك ، ولا كان بالامكان حمل اولئك الاعراب الجفافة على الطاعة والرضوخ للحكم القائم ، ولولا « لم يثبت لابي بكر امر ، ولا قامت له فتنة »<sup>(١)</sup>

(١) شرح تيج البلاغة لابن ابي الحديد

### زحف الكتاب العربية

لقد جئنا سبغ تاريخ الصديق رضي الله عنه حديث هذه الكتاب العربية التي ركت رمال الصحراوات القاحلة في طريقها الى موطن الفرس والروم ، وافضنا في تصوير المارك التي وقعت كما تكلفنا بحث الاسباب التي ساعدت على انتصار العرب المسلمين واتخذنا لخصومهم ، وتراجعهم امامهم ، وليس ما جئنا به من سالف الحديث الا شيئاً ندر ، وحديثاً مقتضباً ، ذلك ان الفتوحات العربية كانت في غيرها ، ولا يتكامل شروفاً ، وسرى القاري ، في ما يلي من فصول حديثاً ارحب واغزر ، واحداثاً اعظم واشهر ، وقد رأينا ان تبسط في بعض ما اجلناه من حديث سابق ، وان نصف الحالة في الملائن حاشية الوثنية الفارسية وصفاً دقيقاً على قدر يستعين معه القاري ، على تفهم الحالة الروحية في بلاط فارس وعاصمة ملوكها واجنادها قبيل الفتح وبعد . . . . .

افضت الاقدار الى فارس بشي من الويل كثير ، وتعجلتها بهذه الحصومة الداخلية تمزق بين مليكها وابنائها ، وبينه وبين نبله

ملكته ، فثيرها ثورة غيا الجيوش ، دامية الاطراف ، هجرة الجوانب ، خطيرة للصابر

وكانت قصة هذه الثورة حديثاً حياً ، نشطاً فيها ( سيروس ) ولي عهد الامبراطورية الى التامر على والده لما علم برغبته في خلعهم واحلال فتاة الصديق من شيرين النصرانية ملكته ، وشيرين فتاة رومية اخذت بجامع قلب للملك ، فاحلت منه مكاناً رجباً ، جعل كسرى فارس لا يزد لما طلباً ، ولا يرضى لما امرأ

ولم يكن في عمل الملك ما بعد خرقاً لتقاليد فارس ، فقد سبقه الى مثله غيره ، وكانت يساق في عمله من تقدمه من الملوك والا كاسرة ، ولكن نصرانية شيرين كانت تؤذي النبلاء وتسببهم ، وكان يصعب على واحد من ان يتناسى هذه الحروب التي كانت ما تزال تضطرم بين فارس الوثنية والبيزنطية النصرانية ، وقد سقط فيها لكل منهم صديق وحبيب ، ونصيب وقريب . . . . .

لقد كانت ماضيات الشيخ الملك ، مليئة بالفاخر والابحار ، وكان من حق قومه ان يذكروا له ما افشاء الى تاريخهم من انتصارات في مختلف المارك ، واحسان في دنون الادارة ولو فعلوا لكانوا اعديل واقسط .

ولكنهم ارادوا ثورة على قدر ، وارادتها الاقدار جارية لا تقي ، ولا تذر ، وشاطرهم ، وفي الهدم ما لم يهجم من خود الرأي ،



وغشالة الفكر، ولم ير كبير أمر في أن يطلع الملك الشيخ، ويخرج به في السجن، ليحلس مكانه على العرش، وزاد قسوة فامر بقتل الفتى ابن شيرين مع غيره من أبناء أبيه أمام عينيه في سجنه، كما أمر بقتل والده بعد أيام من ذلك.

ولم يكشف قباز الثاني لو (سيروس) بذلك بل اترقى في ظلمه وكيد وقتل أخوته من المذكور جميعهم، فعل ذلك مخافة ثورة يتمجد بها واحد منهم، ولكن تقريع الصمير أصحى قلبه، فلم يش طويلاً، ومات ولم يحكم بلاد فارس غير شهر قليلة، تولى على العرش سنة ٦٢٨ ميلادية، وتوفي في السنة التالية.

فقام ابنه بالامر من بعده وهو فتى صغير لا يتجاوز السنة الواحدة من العمر، ونصب النبلاء الاميراطورية وصياً رعي الخاق، طاهر اليد، ولكن (شهر بارز) قائد الجيوش الفارسية التي كانت تحارب الاميراطورية البيزنطية راح يتفق مع الروم لمساعدته في الجلوس على عرش فارس، ولما تم له ذلك مثنى الى العاصمة على رأس جيشه فاستولى عليها دون مقاومة، وقتل الوصي والملك الصغير وجلس على العرش، ولكن ملكه لم يعمر طويلاً فقد ناز عليه جنده فقتلوه وعندئذ اضطربت الحالة السياسية في بلاد فارس اضطراباً عظيماً فقد تابع على العرش كثيرون، وكان آخرهم الملكة بوران وهي اميرة فارسية بيد ان احداً من هؤلاء لم يطل ملكه، وضاق النبلاء.

فدعا بهذا الاضطراب الذي يهدد المملكة، فاجتمعوا المرمم على البحث عن احد ابناء ملوكهم فعثروا على يزديجرد الثالث، فولوه عليهم وكان هذاريضاً عادلاً جريئاً، ولكنه جاء في زمن لم يكن يطوق مثله ان يصعد للخطب الجديد، والقضاء الواقع، الذي كانت تحمله جيوش الصحراء في طريقها الى الواحات القريبة والامصار المتحضرة.

لقد تركنا المثني بن حارثة في تاريخ الصديق يناجز الفرس ويقاثلهم وليس معه من الجند الا ما تركه له خالد بن الوليد لما امره الخليفة - بالسير نحو الشام تحية لمن فيها من القواد والامراء والجند - وكان المثني اعرابياً شجاعاً، وقائداً بارعاً، وهو الذي لفت نظر الخليفة الصديق الى ضرورة اقتحام العراق وفارس، واظهر في الحروب التي تلت بعد نظر، وصديق بصيرة وجراءة ونشاطاً حبيب جنده به، وجعلتهم بطمايون الى ما يتكلف له من مناجزة العدو ومجادلته، وهم اقل منه رجالاً وسلاحاً... ونظر المثني الى الامر الذي بين يديه فرأى ان الفرس غير تاركه، ولا بد لهم من التمشير بجند لا قبل له بهاء، فغف الى المدينة لما بلغه من عبوته انشغال الفرس بالمصومة فيما بين بعضهم بعضاً، فوجد الصديق مرصداً فحدث اليه بالامر وسأله النجدة، فأرسل الصديق الى عمره فلما حضره قال له: «اني لارجوا ان اموت في يومي هذا اذا انامت»

فلا تخشين حق لنسب الناس مع المثني ولا تشغلنكم مصيبة وان عظمت عن امر دينكم ووصية ربكم» وفي ذلك ما يدل على وطنية الصديق واخلاصه العظيم، فقد كان رضي الله عنه وهو في حالة التزعزع يفكر بامور المسلمين وشؤون الجند في مختلف ساحات القتال.

ونسب عمر الناس لقتال الفرس قبل صلاة الفجر من الليل نفسه وحضهم على التجهز والتشمير وهون عليهم الامر، وقال يحاورهم كرة ثانية:

سيروا في الارض التي وعدكم الله في الكتاب ان يورثكموها فانه قال: «ليظهره على الدين كله» والله مظهرهم وممزه وناصرهم ومولى اهلهم ووارث الامم، ابن عباد الله الصالحون ١٩ وقام المثني قائد جيش العراق خطيباً فبهن على القوم امر الفرس وقتالهم وقال: «لا يعظمن عليكم امر الفرس فاننا قد تبجحنا ريف فارس، وغلبناهم على خير شقي السواد، وشامطناهم، وظلنا منهم واجترأ من قبلنا عليهم، ولما ان شاء الله ما بعدها»

فكان ابو عبيد بن مسعود الثقفي اول من لبى الدعوة وتطوع للجهاد في جيش العراق، وتبادر الناس بعده، فولاء الفاروق على الجيش وسيره في اثر المثني بن حارثة، بعد ان اوصاه باستشارة اصحابه فيما يعززه من امر، ويتكف له من هجوم وحرب... فحضى

ابو عبيد يشتد نحو الحيرة بين معه من المسلمين، وكانوا خمسة آلاف، وهو يستنصر من يرب به من العرب لقتال الفرس، فاجابه منهم بشر كثير.

....

وتنفس الفرس الصعداء لما وقفوا الى تليك يزديجرد عليهم فقد اثار قتلهم ما اخذوا يستمعون له من اقتحام العرب لحدودهم وغشيانهم لامصارهم وسوادهم واتصارهم على جندهم، وكان الملك نفسه برغم ما يضطرب به من جيوش، يحس بخطورة الموقف، فأخذ يحيل نظره في ما لديه من قواد وامراء، لعله يوفق الى القائد الذي يصلح لان يربي به العرب وقوادهم، فوقع اختياره على رستم وكان من مشاهير قواده، فالتفت في ما لديه من الجند وعقد له لواء فارس، واوصاه بالاحتراس والتربث والاحسان في المناجزة والحرب.

ورأى رستم ان يتحالي في حربه ويأكر خصمه وغشائه، فكتب الى الهذاتين وسوام من اتجم السلدون امصارهم، يدعوهم

(١) اخطأ المرحوم الحفري واخطأ امين سعيد بقوله عنه ان اربعيدخت الملكة الفارسية هي التي حثت رستمًا قائداً لجيش الفرس، والواقع ان تعيين رستم كاتب بالمر يزديجرد الملك نفسه وبعد ان عقد النبلاء الحاج على مقره.



لثورة والفئة ومساعدته على صد العرب وردم الى جزيرتهم  
وكان لا يزال الفارس عظيمة واثاماً وكان الناس يمتدنون اليها  
ولا بد موقفة في حربها مع العرب آخر الامر، وان هؤلاء  
يطلقوا البقاء في هذه اللواتن التي اتصمها الا بقدر، وانهم  
عائدون حتاً بعد ذلك الى جزيرتهم، يتركون هذه البلاد وشأنها  
كما تعودوا ذلك منهم في سالفات الايام وماضيات الاعوام...  
وجم رستم طلائعهم في (التيار) (١) بعد ان وفق الى اكتساب  
بعض الدهاقين ومن شايهم من فلاحي السواد، وكان للثني  
وابو عبيد قد وصل الى الجزيرة، فاجموا امرهما على مهاجمة الفرس  
وان لا يتركا لهم سبيلاً لتنظيم امورهم، واثارة الدهاقين عليهم  
فهاجم ابو عبيد من في التاروق من الفرس فوقع بهم، ووقع ايضا في  
معركة ثانية على الفرس فردم وشنت جوعهم، ولكن هذه القوت  
كانت طلائع الجيش الكبير الذي كان يتقدم به رستم نحو العراق  
ولقد اسكرت هذه الانتصارات ابا عبيد، واطارت حلمه  
فلما ارسل اليه رستم جيشاً آخر وعليه بهمن ومعه الراية الكبرى  
التي كانت تظلل الجيش الفارسي في حروبه وانتصاراته وكان بين  
المسلمين والفرس جسر، راح ابو عبيد يعبر طلباً لمدوه واستضعافاً  
(١) التاروق موضع قرب الكوفة، لا يبعد عن الجزيرة اكثر من ١٠  
كيلومتراً

لشأنه، وكان من الحق ان يترك العدو يعبر اليه، فزعمه الفرس،  
وحاول ابو عبيد ان يضرب فيهم بسيفه فكان الفيل اسرع اليه  
منه اليه، فخطاه بخرطومه فقتل عليه، ففر المسلمون من بعده  
يطلبون النجاة بأنفسهم ولسرغوا الى الجسر يحاولون الحرب من عدوهم،  
فقطعه احداهم ظمائه ان ذلك بعيد الجرأة الى قلوب أصحابه  
فيصمدوا للفرس، فخطأ في ظنه وحسابه، وكان غير موفق الرأي اذ  
مكن الفرس من العرب فابلوا فيهم بلاء شديداً... ولولا حكمة  
الذي الذي تولى القيادة بعد مقتل ابي عبيد لقتل الفرس على  
الجيش العربي يرمته...

لقد كانت وقعة الجسر انتصاراً باهراً للفرس، ولكنها كانت  
آخر انتصاراتهم، فما عمم التي حين وصلته الامداد من المدينة  
- وكان الخليفة لا يفتأ يبحث له بها خصوصاً بعد فشل المسلمين في  
الجسر - ان مشى الى (اليوب) يصد جيشاً فارسياً جاهلاً يحاول  
اقتحام الجزيرة، فوفق الى تشيته، ولم يخطئ في عبور التهور الى  
عدوه بل تركه يتقدم اليه ويطمع به، فكان هذا النصر السريع  
بثابة جواب على وقعة الجسر، وكان الى ذلك كله مقدمة انتصارات  
عظيمة قضت على اميرالموردية الفرس فلم تقم القوم قائمة بعد ذلك

(١) اليوب يرب قرب الكوفة بأخذ من الفرات

ابداً...

ولقد تكلف بعض مؤرخي العرب التعليق على هذا الحادث  
وما سبقه، واثبت بعضهم ابا عبيد لعبوره النهر، بعدما سبق  
للمشي بن حارثه من تنبيهه وتحذيره من مكاييد الفرس واحاييلهم، ولعل  
الفاروق قد نظر في علم النبي فادرك ان ابا عبيد ليس بالقائد  
البارع الذي يصح ان تقدر له القيادة، ولكنه كان اول من اجاب  
دعوة الخليفة لحرب الفرس، فكان من حق الخليفة ان يقدر اجابته  
هذه تشجيعاً لغيره، وتقديراً لجرأته واخلاصه، وان كان لا يصح  
ان يكون اول من يذهب للحرب قائداً بارعاً ومجارباً عظيمياً



### استعداد امير المردنيين

نظر الفرس فيما دهمهم من امر العرب الذين يجوسون خلال  
ديارهم، ويتحتمون مساحهم، ويغيرون على اسواقهم، ويمتدون  
متاجرهم وامتعتهم، وكيف انهم قد ملكوا الوجه الذي هم فيه،  
وقطعوا عن فارس مودره وغلاته، فاجموا امرهم على اخذ العرب  
بالجزم والحرب، وهربوا يستعدون لذلك استعداداً عظيماً، فلما علم  
الثنى بذلك كتب الى الخليفة الفاروق ينفذ له امر القوم، وما  
يجشاه من انتفاض دهاقين السواد، وبسأله الامداد، فكتب اليه  
امير المؤمنين بالعودة بين معة من الجند الى حدود الجزيرة والعراق  
فيا يلي البصرة وقد اراد امير المؤمنين من ذلك ان يكون الجيش  
قريباً من الجزيرة حتى اذا اغار عليه مفر، ولم يكن له طاقة على  
معالجته، احصى بجزيرته وصحراواتها فتعته من عدوه، ووردت  
كيد هذا الى نهر... وارسل امير المؤمنين الى عماله ان لا  
تدعوا احداً له سلاح او فرس او نجدة او رأي الا انتخبتموه ثم  
وجهتموه الي والمجل العجل، وكان ذلك في شهر ذي الحجة من  
السنة الثالثة عشرة للهجرة، فلم يقفل عمر من حجة حتى وافقه الجنود

من كل وجه وطريق ، فأما القبائل التي كانت قريبة من المدينة فقد اجتمعوا عليه فيها ، وأما من كان أقرب الى العراق فقد لحق بالجيش العربي يركب اليه الصحراء والمفاوز . . .

فلما جاء بحرم من السنة الزاجعة كانت للمدينة تعج بالجدد ، وتضطرب بالرجال ، وكلهم أكثر ما يكون شوقاً لحروب والتهود للحرب والكفاح ، يقتحمون ما حولهم من انصار الروم والفرس فيجتثون منها اصول الشر ، وينكسون فيها اعلام البدع ، ويعيدون الى قلوب الجماعات المختلفة الاجناس والاشكال والالوان ما فقدته من نضرة وطهارة ، ثم يتجاوزونها الى بلاد الديانات الاخرى ، يدعون اهلها الى دين الله في دعة واين ، واقناع بالحجة والموعظة الحسنة .

وخرج امير المؤمنين بهذا الجمع من مغاور العربية الى ما يدي (مزار) على ثلاثة ايام من المدينة ، فمسكرو به وليس يدري احد ما يصنع عمر ، اسير بهم الى العراق بنفسه ، ام يرجع الى المدينة ويؤمر عليهم رجلاً آخر . . .

وقد كان عمر رضي الله عنه كثير الرغبة في ان يجاهد اعداء الاسلام بنفسه ، ولكن كابر الصحابة رأوا في بقاءه في المدينة ، رمدوا الجيش بالرجال والسلاح ما هو خير من جهاده بنفسه ، وما هو اعظم من الجهاد بالنفس عند الله واكثر اجراً ، وابتى ثواباً . . .

ورأى عمر في هذا الرأي كثير من الحق ، فلو هلك رضي الله عنه في حربه هذه لاضطرب الامر ، واستفحل الشر ، وعظم اليبلاء ، فادار عنده بصرة بحث عن القائد الجري ، والمحارب البارع ، فلم يوفق الى الاطمئنان الى احد من الذين كانوا حوله في المدينة ، فاطلق بصرة الى العيال والنواب فوقع اختياره بعد محاورة ذوي الرأي من الصحابة على سعد بن ابي وقاص من اصحاب رسول الله ، وكان على صدقات بني هوزن فندبه لقيادة الجيش وصرحه في اربعة آلاف ليس بينهم الا نبيل شريف ، وكبير عظيم ومحارب جري . . . وامره بالتشهير بالجد وان يستنير القبائل في طريقه ليشبهه من كان فهم غناه وسلاحه ، فذهب سعد على رأس جيشه يستحث القبائل في طريقه ، ويدعوها الى نصره العربية والاسلام فلحقه خلق كثير ، وبيتا هو في بعض الطريق وافاء الخير يوفاة للثني بن حارثة من جراحة ثانت اصابته قبل ذلك ، غررت الناس عليه ، واحسوا انهم فقدوا ابوتهم فارساً مغواراً ، وعرباً كريماً .

وكان المثنى كما قدمنا البادي بحرب فارس سيح خلافة الصديق رضي الله عنه ، وكان صاحب مكيدة وحيلة مع حسن تدبير وتجربة ، نافذ الرأي قوي الارادة منصوراً مظفراً على العدو ، متأثر في حربه طريقة خالد بن الوليد ، وبكتف خطله موقفاً في معاركه وحروبه كل التوفيق .

ولما احسن بدتو اجله ، كتب وصيته الى سعد يبحث له فيها امر المعجم ، ويبلغ عليه بزيادة القوائم التي وقت قبل هذه ، وبنتيجة خبرته وتجاربها فيها ، وكان فيها اوصاء : ان يقاتل الفرس على حدود ارضهم وعلى ادى حجر من ارض الجزيرة ، فان يظهر الله المسلمين عليهم فليهم ما وراهم ، وان تكن الاخرى فاموا الى مواطن يعرفونها ، وجماعة يصرونهم ولا يكونون عليهم . . .

لقد كان الفن العسكري الحربي عند العرب في طور التكوين وكان لا يزال طفلاً صغيراً ، فلا جناح على ابي عبيد الثقفي اذا اجتهد فاشطاً ، ولا جناح على امير المؤمنين اذا اعتدته قيادة الجيش دون غيره ، وليس لديه من المؤهلات الا انه كان اول من تودى فاجاب ، ولكن امير المؤمنين كان بصيراً بامر الرجل ، علماً بضعفه ، فاقصاه يوم بعث الى العراق قائلاً : « استمع من اصحاب رسول الله واشركهم في الامر ، ولا تفتد مسرعاً حتى تتبين ، فانها الحرب ، والحرب لا يصلحها الا الرجل للكبش الذي يعرف القرصة والكف »

ورحم الله ابا عبيد ، فانه لم يكن رجلاً مكيداً ولا صاحب مكيدة وحيلة ، وزاد خطئاً في تجاهله وصية امير المؤمنين وعدم اشراكه اصحاب رسول الله بالامر ، وهم اهل تجربة وخبرة وحرب

ومكيدة . . .

ولقد افضي فشل ابو عبيد الى الفاروق بشيء كثير من الالم والاسى ، فقد كان رضي الله عنه من اشد الناس رغبة في عدم التفريط بدماء المسلمين ، وكان من ارفق الخلق بالبيعة ، والتكاتف لاحسن ما لديه يقضيه لهم ، فلا عجب اذا عظمت عنده اللصبة ، وجلت الحادثة ، ولا غربة اذا رأبها بعد ذلك الى الاضطلاع بامور القيادة العسكرية بنفسه ، لا يطمئن الى قواده الا بمقدار ولا يسمح لاحد من بالشعور والتشهير بالحرب دون ان يصدر امره اليه .

ولما سار سعد بن ابي وقاص بالجيش الى العراق فودعه عمر قائلاً : « اني قد وليتك حرب العراق فاحفظ وصيتي ، فانك تقدم على امر شديد كربة لا يخلص منه الا بالحق ، فمودة نفسك ومن معك الخير واستفتح به واعلم ان لكل عدة عتاداً وعتاد الخير الصبر ، فالصبر الصبر على ما اصابك او تأبكت فجمع له خشية الله »

وزاد عمر قاهره بتقوى الله ، والتلطف بالسؤال عن حال من معه من الجند والرجال ، فلا يستكبر ولا يعلو عليهم ، ثم انتقل من ذلك الى حركة الجيش نفسه ، فامر بالتشهير الى (زرد) اول الامر ، حتى اذا تلاحقت به القوى العربية وتمت التبعة ، وتلقى

(١) زرد برمال بين المدينة والكوفة ، وتبعد عن الكوفة نحو ٥٠ كيلو متراً



امراً بالتحفظ فادوها

فلما تمت التبعة وانتهى الى سعد امر الفاروق بالسير الى الامام ، مشى الى ( شراف ) في طريقه الى القادسية ، وفي شراف اخذ ينظم قواته ، وفقاً للامر الذي افنده اليه عمر ، والى القاري . تعليقات الفاروق وهي من السابقة وبراعة الفن العسكري بالسكان الارفع امر الفاروق سعداً ان يعثر الناس ، اي ان يجعل على كل عشرة رئيساً يسمى عريقاً ، وان يقسمهم الى كتاب يكون اساسها هذه العشرات ، ثم يولي رؤساء المسلمين القيادة على الكتاب بعد تقسيمها وتبنيها

وزاد عمر في امره يقول : وبعد ان يتم تنظيم الجيش على هذا النوال ، وبعد ان يعرف كل جندي عريقه ، وكل عريق قائده ، وكل كتيبة رئيسها ، ونسبي من التبعة سير كتابك وهي على اتم نظام ، واوعدها الاجتماع في القادسية - وقد اختارها الفاروق قاعدة لجيش المسلمين في هذه المرحلة وهي على سيف الابدية لا يفصل بينها وبين الصحراء فاصل ، وبينها وبين الحيرة بضعة كيلومترات من جهة الشرق - وكان امراء التبعة يولون الامير النسبي هو قائد الجيش ، ويلهم امراء الاشرار اصحاب الرايات ثم القواديس والقبائل ، ولم ينادر سعد ( شراف ) الا على تعية ، وبأذن من عمر ، وقد بعث الفاروق اليه الاطباء للعناية بصحة الجيش ، وجعل على

قضاء الناس عبد الرحمن بن ربيعة ، وجعل داعيتهم ورائداهم سلمان الفارسي وهو من اصحاب رسول الله ومن اصحاب العلم بتعية الفرس وطريقتهم في حريم

....

وختم لمير المؤمنين كتابه قائلاً :

« اما بعد فمن شراف بن معك من المسلمين وتوكل على الله واستعن به على امرك كله ، واعلم انك تقدم على امة عددهم كثير ، وعدتهم فاضلة ، وبأسهم شديد »  
« واذا لقيتم القوم او واحداً منهم فابذوهم الشد والضرب ، واياكم والمناظرة لجوعهم ، ولا يخذلكم فانهم خدعة مسكرة ، وامرهم غير امركم الا ان تجدوهم »

« واذا انتهيت الى القادسية - والقادسية باب فارس في الجاهلية وهي اجمل تلك الابواب لادتهم ، ولما يريدونه من تلك الاصل ، وهو منزل رغب خصب رحب دونه قاطر وانهار مجتمعة فتكون مسالحك على اقاليها ، ويكون الناس بين الحجير والندر على حافات الحجير وحافات الندر والجراخ بينهما »

« ثم الزم مكانك فلا تبرحه ، فانهم اذا احسوك انتفضتكم ، ورموك بمجموعهم الذي يأتي على خيلهم ورجلهم ، وخدمهم وخدمهم ، فان اتم صبرتم لمدوكم واحتسبت لثقتهم ، ونوئتم الامانة رجوت ان تنصروا »

عليهم ، ثم لا يجتمع لكم مثلهم ابداً ، الا ان يجتمعوا وليست معهم قلوبهم ، وان تكن الاخرى كان الحجير في ادباركم ، فانصرفتم من ادنى مدرة من ارضهم الى ادنى حجر من ارضكم ، وكنتم جليها اجراء ، وبها اعلم ، وكانوا عنها اجبن ، وبها اجمل ، حتى يأتي الله بالتفتح عليهم ويرد لكم الكرة عليهم »  
وزاد امير المؤمنين في استقصاء مواقف جنده ، وحركات جيشه فبعث الى سعد باليوم الذي يرتحل فيه من شراف ، وكتب اليه يقول :

« واكتب اليّ ابن بلغ جمعهم - اي الفرس - ومن رأسهم الذي يلي مصادمتكم ، وصف لنا منزل المسلمين والعد الذي ينسبك وبين الدائن صفة كاتي انظر اليها ، واجماني من امركم على الجلبة »  
فكتب اليه سعد بصفة للدائن ، وأشار الى ان الفرس قد استعدوا للقاء العرب المسلمين ، وان رستاً قائدهم وانه يحاول انتفاضنا واقحامنا ، ونحن نحاول مثل ذلك معه »

فكتب اليه عمر ان يتم مكانه حتى ينقض الله له عدوه ، وامر اذا انتصر على الفرس ان يقتحم عاصمتهم للدائن

....

واستقر رستم قائد جيش الفرس في الحيرة واتخذها مقراً له ، واقام مراكزه على طول الطريق من الحيرة الى الدائن ، ونقل اخبار

جيشه الى الملك ( يزجرد ) فبعث له بالاحداث والوقائع التي تقع يوماً فيوماً ، وقيل سعد مثل ذلك - بامر من الفاروق طعاً - فكانت الرسل تنقل بين القادسية والمدينة ، وبذلك اصبح يطلع امير المؤمنين عمر بن الخطاب ان يدبر الحركات العسكرية وهو في المدينة ، وان يصدر الامر الى قائده وفقاً لما يستقر عليه من رأي ، ويطلب اليه من خطة



## القادسية

كانت وقعة (القادسية) نشيداً عربياً رائعاً بين الآي واضح البيان، وكانت الى ذلك كله حدثاً خطيراً ازال معالم التاريخ، وقضى على امبراطورية ثانت لايام خلت مل السمع مل البحر. وكان جيش سعد يضطرب في نغمة العرب وغيون الاسلام كان فيه بضعة وسبعون بدرية، وثلاثمائة وسبعة عشر من كانت لهم صعبة مع رسول الله فيها بين بيعة الرضوان فاقبلها وثلاثمائة من شهد الفتح وسبعائة من ابناء الصحابة فكان جيشه والحالة هذه جامعا لاجياد العرب، ومختلف البيوتات الاسلامية، ثم كان الى ذلك كله يضطرب في اطهر ما في الاسلام من ايمان وعقيدة واخلاص وتقوى ...

وخرج رستم الى العرب في جيشه وعدده مائة وعشرين الف مقاتل "حتى نزل (ساباط) وهي خارج الحيرة، وجاء الخبر الى

(1) Persia, By Mr Benjamin 274

اما عدد الجيش العربي الاسلامي فقد اختلف المؤرخون فيه اختلافا عظيماً ولكن اوتى الاخبار والروايات تقدره بثلاثين الفا او اقل قليلاً ...

سعد بتقدمه من عيوته الكثير، فالتفت الى الفاروق بعلمه بالامر، فكتب اليه يقول: «استن بالله وتوكل عليه، وابست الى ملك الفرس رجالاً من اهل المناظرة والجلد يدعونهم، فان الله جاعل دعاتهم توهيتاً لهم»

ويذكر مؤرخو العرب خبر هذا الوفد، ويسمون رجاله ويصفون ذهابهم الى المدائن وتحديدهم الى كسرى وما كان من استيائهم، لما عرضوا عليه الجزية الاسلام، وطرده اياهم وهو امر لم يذكره المؤرخون الا فرنج ابداً، وليس في ما لدينا من وثائق وكتب شيئاً عنه، وتزيد كتب السير العربية تحصف لنا مفاوضات جديدة وقعت بين العرب ورستم قائد الجيش الفارسي، وان كان كتاب القرطبة ومؤرخهم لا يعرضون لها ابداً، ولكننا وقفنا على وصفها في الشهادة للفردوسي الفارسي، فقد ذكر هذا الشاعر الجليل في ما ذكره من اخبار ملوك فارس وتأريخهم ان رستم ارسل الى سعد كتاباً شحنه بالوعد والوعيد وبالتهديد والتخويع وغيره بان رجاله حفات عرافة فكيف يكون بطوقه مقارعة ابطال فارس، وفرسان نهاوند والمدائن، فرد عليه سعد رداً جليلاً وقال: «انا قوم لا نعمل الا على الصفا والراح، ولا نقول بالهيباج والحريز والمسك والغبر، ولا نفتخر بالمعلم والشراب، وكتب اليه يدعوهم الى الاسلام او الحرب ...»

اما كتاب العرب فيختلفون في وصفهم لهذا الاحتجاج عن الفردوسي، ولا يعد ان تكون الحقيقة بين القولين، او يكون الفردوسي قد تورط في وصف ما ليس به علم، لان اخباره في ملحمته لا يصح ان تؤخذ وكأنها الخبر الصادق، والقول الحق ...

يقول مؤرخو القرطبة ان رستم قد اخطأ في عيود القوات الى العرب الذين كانوا قد حطوا رحالهم في سهل القادسية، وان الفن العسكري كان يقضي عليه بالبقاء مكانه حتى يعبر العرب النهر اليه، فيكون نصيبهم القتل والتراجم اما جيشه الكبير وجنده الكثير، ولكنهم لا يتكروا على رستم براعته سيئة تعبته جيشه وتنظيم فرقه، وتقدم فيته، ويصفون المعركة في اليوم الاول بانها شديدة قاسية نائرة، وهي في لونها لصلحة الفرس اكثر منها لصلحة العرب، حتى وقف هؤلاء الى صرع القيلة فكانت الحيرة للفرس من بعدها ...

وتحدثت عن الامدادات تصل الى العرب في ابان المعركة فيزيد هذا في جرأتهم وحماهم فيهمجون على عدوهم هجمة المستتيت، فلا يطيق هذا وقوف امامهم، ولا دفاعاً لمجومهم ... ويصف مؤرخو العرب عيود رستم بجيشه النهر الى سهل

(1) Persia: By Benjamin

القادسية، وكيف ذهب بين الراكر لفرقه، والمواقف لجيشه، ويرتب قبلة في موطنها وعليها الرجال في الصادق. واما الجيش العربي فكان تربيته اشبه بالتمر في يومه الخامس وقد فُسمت فرقه، ونظمت راياته، وانتظمت صفوفه ونهشت زخوفه وعلا فيه الجماس والفخر، وكان رجالا للفرق وخطباء العرب يحثون قومهم على الصبر والمقاومة والنجاة، ويترأون لهم أي القرائن وما فيه من نعم للصائرين والمستشهدين في سبيل الله ودينه، فكان هذا يد في الشعور ويثير العواطف فيفتنوا المرء نفسه واهله ولا يعود يذكر الارب واهله، وانه عربي لا يعرف دلاً، ولا يسكت على ضيم، ولا يطيق عاراً، وهل اعظم من القتل والحرب عند العرب عاراً ...

وكان سعد مريضاً لا يستطيع ركوباً ولا جليوساً، فجلس في قصر المذيب، وشرف على الجيش وخلف على الناس خالد بن عرفة، فكتب عليه بعض وجوه الجند، وعلم سعد بذلك فقال:

— اهلوني واشرفوا في على الناس —

فارتفعوا به فأكب معلماً عليهم، ونحت صدره وسادة، واتي بن شغب على خالد، فمهم وشتمهم وقال:

— اما والله لو ان عدوكم يحضر نكم بكم نكالا لغيركم ولا يعود احد بعدنا يحس للسلمين عن عدوكم وشاغلم وهم بازائه



الاسنت به سنة يؤخذ بها من بعدي

ثم كتب الى اصحاب الزيات : « اني قد استغفرت عليكم خالد بن عرفة ، وليس يعني ان اكون مكانه الا وحيي القسي يعودني ، فاني مكب على وجهي وشخصي لكم ياد ، فاستمعوا له واطيعوا ، فانه اتنا يأمركم بأمري ، ويسئل برائي »

فلما فري امره على الناس انتهوا الى رأيه وتقبلوه ، وتناولوا على السم والطاعة ، فكان سعد يرمي بالرفاع فيها امره ونهيه الى خالد ، فيلبثها خالد من قصد بها لافراقها وانفادها ، فكان خالد والحالة هذه رئيس اركان حرب جيش المسلمين في معركة القادسية ...

واتعد سعد مع جنده ان يكبر لم ثلاث تكبيرات فوالثالثة بدء الحرب ، علامة الزحف العام وان ذلك يكون بعد صلاة الظهر .

فلما صلى المسلمون الظهر وكبر سعد تكبيرته الثالثة والانظار اليه مشرقة ، والاعتاق اليه مرتقة ، والقلوب خافقة ، برز عندئذ اهل النجدات والبسالة بطلون البراز ، فلما كانت التكبيرة الرابعة كان الزحف العام ...

## الديار السود

انراها قصيدة في تم الدهر ...

ام تراها سوقا كانت فيها نفوس العرب محمولة على السيوف ، بعروضها عرضا ، ويقدمونها قربانا في سبيل الاسلام والعريية لقد كانت معركة القادسية حديثا دمويًا عجبا ، اجفل منه الروم ، وفلقت له (يزانطية) ، وانطوى به آل سامان ، فلم تقم لهم قائمة بعده ، ولم يقش لهم ذكر ، ولا استطار شأن .

كبر سعد تكبيرته الرابعة فزحف العرب على خصومهم واصطدموا صدمة شديدة قوية ثمتت فيها السيوف الى الصدور واخترقت الاسنة القلوب ، وكانت من اشد الصدمات هولاً وويلاً ، ولكن خيول العرب عادت تلوي الاعة ، وتناول الرجعة ما استطاعت اليها سبيلاً ، وادرك فرسان العرب ما يعدهم من خطر ان حاولوا عوصاً على انقائهم ، ولكن القبلة التي كانت امامهم ، كانت شيئاً لا قبل لهم به ، ولا سلطة لافراقهم عليه ، فاضطر بعضهم الى الترحيل ناركاً فرسه لتتحم الصفوف لا للوي على شيء ، وحاول غيرهم ان يحملوها على الصمود فلم يوفقوا ، وشاهد

سعد ما حل ببعض فرقه من امر القبلة ، وذلك من شرقه القصر الذي كان يطل منه على جيشه ، فارسل الى عاصم التميمي وقال بماورده : يا معشر بني تميم ، اما حدكم لهذه القبلة من خيلة ؟

فقال : بلى .

ونادى برجال من قومه رماة ، وآخرين لهم ثقافة ، فقال للرماة : « ارموا ركان القبلة بالنبل » وقال لاهل الثقافة : « استديروا وحطوا ما عليها من الصناديق وفيها الرجال » ففعل كل فريق ما أمر به ، ووقعت الصناديق عن ظهور القبلة فلم يبق من ركانها راكب الا ثلوثه السيوف ، ولما امرت القبلة من ركانها ، عادت الى مواقفها ، وتشم عندئذ بنو اسد الصعداء اذ كانت القبلة قد عدت عليهم وانخست فيهم ، ويقدر من قتل منهم بمجدهائة مقاتل في يوم واحد ، وظل القتال يستمر حتى اول الليل ، فكف عندئذ كل فريق عن صاحبه ، ولسان العرب يقول : وانكسرتهم كانوا على الموت اهدرا

والظاهر ان عدد القبلة كان عظيماً في معركة القادسية ، حتى لم يوقف العرب الى ردها الا بعد ان انخست فيهم ، وقتلت كثيراً منهم ، ولم يكن العرب قد تمردوا قتالاً ولا كانت خيلهم تستطيع وقوفاً تجاهها ، فكان ذلك سبب اضطرابهم وتراجع بعض فرسانهم ، وارتداد خيلهم ، وغفر الفرس عليهم ...

والليل مثل - كدور ، والتمر يتأدى في فوته الرائحة الحبية وقد احتوى المسلمين نكر واسى وانقاض ، لا غشام من فتل في يومهم ، ولما نزل بهم في طعان الموت على كثير من رجالهم ، ولكنهم راخوا يتجلبون ، ويمشون الى موتهم فيوارونهم الادب الذي يلبثه دماؤهم ، ويقولون جرحهم ، ومن به بقية منهم الى حيث تعق بهم نساء قاتلات مومنات يتولينهم بالعناية والاسعاف والمداواة فلما انتهوا ذهبوا يحاولون بعض الراحة ، وكل مشفق ان يطول ليله ويتدسره ، ولو خير ، وشأنه لكن ارب ما يكون في جمالدة علوه ، ومكاشته شيء ليله ، لا يترك له سبيلا للاستمتاع بالتصاذه ، والفخر بظفره ...

فلما طلع الصباح طلعت نواصي خيل المسلمين قادمة من الشام ، وكان امير المؤمنين الفاروق قد ارسل الى بني عبيدة قائد جند الشام بعد فتح دمشق ، ان يرد جند العراق الى موطنهم لينكثوا بمجدة لسعد في حربه ، وكانوا ستة آلاف من الاعراب للفاوير وكان امير الجيش حجة بن ابي وقاص ، وعلى مقدمته القعقاع ابن عمرو ، وهو فارس مغوار ، وعريي باسل ، احسن بحاجة جند المسلمين في القادسية الى الامداد ، فاخذ يستحث جنده ، يطوي بهم الارض ، ويركب الرجح حتى اشرف على المسلمين في اليوم الثاني للمعركة وقبل ان ينشب القتال

ورأى القعقاع زيادة في المكيدة ان يقدم جيشه الى عشرة اقسام، يرد كل قسم على المسلمين بعد الآخر، ليظن الفرس ان المدد متواصل، فيكون ذلك ادى الى خيولهم فانكسارهم، وقدم هو في القسم الاول فلما اشرف على المعركة امر رجاله بالمجوم، فافتحموا الصفوف كالخيول الكواسر، فاحس قدومهم المسلمون فانخذلوا يمتزقون صفوف الفرس صفاً بعض صف، ويوردونهم فرقة بعد فرقة لا تقف في وجوههم هذه الطوع المولعة، ولا تردهم عن اغراضهم هذه القبلة الخبيثة التي كانت تندفع على فرسان المسلمين وصفوفهم كالسيل الحارث، فتفتح لها طريقاً بين الصفوف يترطمون بها الذي كان يقبض على الرجل من وسطه فيري به رفيقه فيقتل الاثنان على الارض، فتشفي عليها القبلة فتدق رؤوسهم، وتقصم صدورهم، ولم يزل هذا شأنهم حتى وفق رجال القعقاع الى حيلة جديدة، وفي انهم عمدوا الى الابل فالتبسوها بالراحم، ولتغل في شباب يواصل منهم ظهورها، وطافت بهم الخيل تعميم في حلتهم على خيول المعجم، فظنت الخيل انها من القبيلة فلم تصمد لما نفرت منها وركبت صفوف المسلمين فرسانها، فلقى الفرس في يومهم هذا ما لقي العرب قبله من نكر وقتل، وابل القعقاع وكان فارساً شجاعاً بلسلاً كما قدما، بلا حساً وابل غيره من البلاء، مثل بلاء، وغلى القتال يستمر حتى نصف الليل فلما اراد الفرس كان

المسلمون سادة الموقف، بارزة قوتهم ظاهرة غرتهم...  
ولشرقت شمس اليوم الثالث دامية الاطراف، بادية الاجرار، وكان القعقاع قد امر جماعة من جيشه بالمضي الى طرف الصحراء، حتى اذا اشرفت الشمس ولعت الاسنة، طلوعوا على خيلهم، فيظلمهم الفرس مدداً جديداً للمسلمين...  
وكانت المعركة شديدة قاسية، طغت فيها سيول العرب على اديم القادسية فنفرت جماعاتهم من مواضعها، ونفرت خيولهم من مراكزها، وماجت الاعلام تحت زرقة السماء، ونمت اخيال الفرس الى خيول العرب، فعمد لها رجال منهم عرفوا سبيل القضاة، طلحوا ففقدوا خيولهم، وتفرقوا بالسيف على مشرقها، فارتدت راجعة تدوس ما شاء الله ان تدوس من جنود فارس، وتشتد المعركة عندئذ فيخوض الفريقان بلح السماء تحت وابل من الشباب، وطول الفرس غلاً، الاق في اعداء فيظن الناس ان الارض تضطرب، ولها تهتز...  
....

لقد كان للفرس شديد ردده كسرى وجنده ما انتظم لهم نصره، واستقام لهم فتح وظفر، وكان للفرس ابواق تصف في ابان المعركة، تاوفاً اصواتها الاجواء المرقية، التواحي، وتعمل

اصداها الى الرياح الى الشواطيء البعيدة...  
وكان للرومان شديد ردده فيصر القسطنطينية على سواحل البحر في البلاد القصية البعيدة، وفي مشارف الشام وحدود العربية لما العرب فلم يكن لهم شديد ولا ابواق قبل عهد، فلما تعلوا تشيده واخذوا بفتوته، تحافت كسرى بصوته، واراد انشاد فيصر الى ممس ضعيف...  
وكذلك علم محمد العرب اشودة الظفر والفتوح، فراحوا يشدون في القادسية كما تشدوها في اليرموك لاشهر خلت، وفي بطاح اخرى من هذه الارض ومشارف الشام والشطآن الواقعة القل في دجلة والفرات...  
واما ابواق العرب في القادسية فكانت: يا محمد...  
....

الحديد، وانقطعت الاخبار والاصوات عن سعد، فبات ليته حائر البال مضطرب خاطر، حتى اصبح الصباح وانسب الناس فلم انهم الاعاون وانهم الظافرون، وكان المسلمون قد خلعوا ليلهم حراً ونضالاً ومجالة وزحماً...  
فلما اشرفت الشمس على الجيش صاح القعقاع بالناس ان يصبوا على الحرب فان الفرس خامرون وسط النهار، فاجتمع اليه جماعة من رؤساء القبائل وتحاضوا على الهجوم واخف حتى الموت، وارفعت اصوات المسلمين يفتون اشودة محمد، ومادت الارض لما اخذت (ابواقهم) ترعد في الافق اعداء شديداً، وما ابواقهم الا كلة (محمداه) وعندئذ جي الوطيس، فاضطربت صفوف الفرس ودارت عاصفة فالتفت الطيارة التي كان يستل بها رستم قائده فارس، ففادر مكانه يحاول الحرب فادر كه قوم من العرب يقتلوه ورفضوا رأسه بين جنود الفرس، فكانت الديرة، ولمزق الجمع وتشتت الجيش، وكانت معركة من اشد المارك وطأة وشدة ودماً وعرباً وبلاء...  
....

لقد كانت معركة القادسية سجالاً اول الامر، ونصراً باهراً للعرب بعد معارك ثلاث دامت ستين ساعة تغلبا بعض الراحة، وثلاثين ساعة دون ما انقطاع، وكانت اعظم معارك الاسلام هولاً وخطورة ووبلاً، فلما تم للمسلمين الظفر فيها انطوى

وكان الليل قد اقترب او كاد، وخلص المسلمون باهل فارس بعد ان ذهبت فيلثهم، فتراحقوا واخذ الفريقان يتجادلان بالسيف وهم في ذلك سوا...  
....

وعندئذ خرج القعقاع بن عمرو في جنده وزاحف الفرس، يثير اذن من سعد ثم نعه كثير من القبائل حتى زحف الجيش كله، واشتد القتال، وخشت الاصوات، فلم يكن يسمع في تلك الليلة سوى صليل السيوف كانه صوت مطارق الحداد على



آل ساسان ونهارت الامير الطوربة الفارسية بعد ان نزلت تحرك  
العالم وتسيطر على الامم والجماعات وترسل اجنادها لتتحم الامصار  
وتغلب على الممالك ما يقرب من الف سنة . . . . .

يقول بنجامين مؤلف كتاب ( فارس ) يصف المعركة : « انه  
في مساء اليوم الثالث من المعركة قرر رستم ان يهر التهر الى  
الضفة الثانية لما اخذ يحسه من حاجة رجاله الى الراحة بعد ما  
اصابهم من ويل الحرب وتعيب القتال ، وان يجعل هذا النهر الصغير  
( وهو العتيق ) بينه وبين الجيش العربي »

ولكن العرب ادر كوا ما يري اليه رستم فلم يتركوه من انقاذ  
خطته هذه ، واخذوا يهاجمون صفوفه ككرة بعد ككرة فلما اصبح  
الصباح انتقل هذا الهجوم الفردي الى هجوم عام ، توفى فيه الفرس  
وقتل بعضهم من اجتياز النهر عملاً ، ولكن هبت ريح شديدة عند  
ظهر اليوم انحمت الفرس ولم توه على العرب الا قليلاً ، وفي  
هذه الفترة الخطيرة من مصائر الامم تراجم المرمزان الذي كان  
يقود احد جناحي الجيش الى الوراء ، فاضطر العرب الفرصوا فاجتمعوا  
الصفوف ، وخرقوا الجيش ، وتقدموا نحو رستم ، وكان يسير  
المعركة من طيارة نصبت عالية له ، فلما رأى العرب مقبلين نحوه ،  
حاول العرب فلم يوفق ، وضربه هلال بن علقمة بسيفه قتله واحرق

رأسه ونشره بين الناس  
فلما رأى الفرس ما حل بقائدهم اطلقوا ساقبهم للريح الاقلهم  
وهؤلاء الذين تبتوا لنهاية غناطقتهم سيوف العرب فلم تنق على  
احد منهم .

وبعركة القادسية سقطت فارس ، ولكنها سقطت سيغ  
ساحات الشرف ، ونهارت تحت ظلال السيوف والرماح . . . . .

وكان امير المؤمنين في المدينة ينتسم اخبار الركان ، وهو  
على مثل اليقين من ان مستقبل الاسلام معلق على هذه الحرب ، فان  
وفق المسلمون فيها لنهارت الوثنية في ايران ، وان خذلوا ، استأسد  
الروم واحس الغوز الفرس ، فلما يمود بطوق قوات العرب الضئيلة  
القليلة المدد ، الضعيفة السلاح ، انكف في وجه الدولتين وجيوش  
الامتين ، وكان الناس يعتقدون مثل اعتقاد ، فكان ذلك يشاعهم  
في فترات النهار ما يسمعون عن الشيء في علمهم ، وكلهم ينظر  
الى الساء . . . . . وينتظر ورود البريد . . . . .

وكان الفاروق يشكك الخروج الى حاجية المدينة ينتسم  
اخبار القادسية ، وفيها هو ذلت يوم في مثل شأنه هذا ، تهي اليشير  
ينهب الارض على نائفه ، فسأله ، فشره ، فاتيته عمر ، والشير  
لا يعلم امره ، حتى دخل المدينة ، فافاد الناس يسلمون عليه بامرة

المؤمنين فالتفت اليه اليشير بمجاورة قائلاً :  
— هلا اخبرني رحمتك الله انك امير المؤمنين قلت معي  
اليك كتاباً . . . . .

قرأ عمر كتاب سعد على الناس : « لما بعد خان الله نصرنا على  
اهل فارس ومنجم سنن من قبلهم من اهل دينهم من بعد قتال  
طويل ووزال شديد ، وقد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراؤث مثلاً  
فلم يتفهم الله بذلك ، بل سلبهم وقلع عنهم الى المسلمين ، وانهم  
المسلمون على الانهار ، وعلى طغوف الاجام ، وفي الفجاج ، واصيب  
من المسلمين رجال عرقهم ، وآخرون لا تعلمهم . . . . . »  
وغشيت عمر رقة فاستعير وهي يقرأ ابناء من استشهدوا ،  
وقال يخاطب الناس :

« اني حريص على ان لا ادع حاجة الا سدتها ما التسم  
بعضنا لبعض ، فاذ عجز ذلك عنا تا سينا في عيشنا حتى نستوي في  
الكفاف ، ولوددت انكم علمت من نفسي مثل الذي وقع فيها لكم  
ولست معلمكم الا بالعمل ، اني والله ما انا بذلك فاستعبدكم ، ولما  
انا عبد الله »

وكتب امير المؤمنين الى سعد ان يفي لفلان السواد الذين  
مالوا الفرس في حريمهم الاخيرة ، وفقاً لعمود خالد بن الوليد السابقة

عليهم ، وحجته في ذلك انهم اجبروا على الحياة اجباراً فمن عاد منهم  
بعد ذلك فمليه الجزية ، وله ان يرجع الى ارضه ويطلب الى عمله  
ومصلحه ، ومن لم يعد فارقه غنيمة للمسلمين ، فعاد اكثرهم  
وارتضوا حكم المسلمين وما فيه من عدل وطاعة ذينة واحترام للحقوق  
والواجبات . . . . .

اما خسارة العرب في الرجال فكانت تقرب من ثمانية آلاف  
مقتل ، وخسارة الفرس اربعة اضعاف هذا العدد وفقاً لما ذهب  
اليه اكثر المؤرخين ، واصدق مؤلفي السير والاخبار  
لما الفنائم فقد كانت عظيمة اذهتت للمسلمين ، ولم يسبق لهم  
ان شاهدوا مثلاً او حصلوا على بعضها ، فقد كانت نصيب  
بعضهم يضطرب في آلاف الدرام ، ويحبل الشاع ، ووقع  
الاسلحة .

لما تاربع المعركة فكان في شهر شعبان من سنة ١٤ للهجرة



### انهباء الامبراطورية الفارسية

انفذ امير المؤمنين امره الى سعد باقتحام المدائن<sup>(١)</sup> فتقدم هذا بجيشه بعد شهرين من معركة القادسية، ذهب سيفه خلالها يربح اموره ويهيء مساحته وينظم قواته فالتقى في (برس)<sup>(٢)</sup> بقوة فارسية يقودها الهرمزان وهو من كبار قواد الفرس فهزمه، فازتد بغلولته الى بابل شجالي الحلة، فتعنه سعد وشنت شمله كره اخرى فاقسم عندئذ من سلم في الممر كتيبن الى انعام، فذهب الى الاهواز، وهي في الجنوب، وآخر الى المدائن لاحقا بكسرى الفرس، وثالث نحو الشرق الى نهاوند.

لما سعد قضى اياما في بابل ثم زحف على المدائن وكان الفرس قد خندقوا في هر سبر<sup>(٣)</sup> ومعهم قوات كبيرة، وتخصصوا داخلها فضرب سعد الحصار عليهم، واحسن الفرس له لا قبل لهم بالمقاومة.

(١) المدائن عاصمة فارس وابتعد ١٢٠ ميلا عن القادسية الى الشمال.

(٢) برس مكان بين القادسية والحلة.

(٣) هر سبر او سرفويه هي على شفا دجلة الهنسي امام المدائن العليا وتقوم قرب دجلة.

فارتدوا الى الداخل وجبروا الى الضفة الاخرى

وعندئذ اتجمعت سعد النهر وغشبه المسلمون بتجليم، فالتزم الفرس ومليكتهم واحترى سعد ما في المدائن من خير وثروة وما في بيوت كسرى من جواهر وعتاد واموال.

وجمع سعد ما في خزائن كسرى من الاموال والكنائس فكان شيئا كثيرا، فقسمه وقسم اربعة الاخماس على المقاتلين، فكان نصيب الفارس اثني عشر الف درهم، وهو شيء لم يكن احد من العرب يعلم به لكثرة، وكان اكثر المسلمين فرسانا وبعضهم على الجنائب، ثم قسم سعد دور المدائن على المناطة واتزلم فيها وارسل خمس الفنائم الى امير المؤمنين فقسمه على الناس وكان شيئا عظيما.

والذي يجب ان يشار الى ذكره في هذا الشأن انه كان يقع الحارب المسلم على سلب الفارسي وسببه وقد يكون احيانا مرصعا بالجواهر فيجعله الى سعد ليصار الى قسمته لا يستأثر به لوحده، فكان سعد يشهد من امثال ذلك شيئا عجبا، ولما قدم سيف كسرى ومنطقته وزيجرده على عمر، الحبيب بها، وغابده من يهايتها وجعلها وقال: ان قوما ادوا هذا ولم يستأثروا به للوؤ امانة.

فقال له علي بن ابي طالب: انك عفتت فعتت الزرية.

.....

وارسل سعد البشير الى امير المؤمنين باقتحام المدائن فولاه عليها وما غاب عليه من ملك الا كثيرة وامره بان يضي في قتالهم وكان قوادهم قد اتوا الى جلولا<sup>(١)</sup> وحشدوا قواتهم حيث سفتح جبل قريب منها وهو مركز حسن للحرب والقتال.

وكتب سعد الى الفاروق يخبره بالمر الفرس وكيف انهم قد اعتصموا في سفوح الجبال، وان كسرى يسرح اليهم الاموال والمقاتلة من مقامه في حلوان، فكتب اليه عمر: ان يسرح اليهم هاشم بن عتبة في اثني عشر الفا وان يجعل على مقدمته التمعق بن عمرو، فسار هاشم في جيشه وفيه جوه المهاجرين والامصار واعلام العرب حتى زل على الفرس بمكانهم هذا في جلولا واخذ يحاصرهم ويزاحف من فيها، وطالت زحوف المسلمين على الفرس حتى بلغت ثمانين زحفا في مدى شهرين، واخذ سعد يد للمسلمين بالفرقة بعد الفرقة حتى اجتمع الفرس على الخروج من حصونهم والاستيسال في حريمهم، وعندئذ امر التمعق رجاله بالمجوم فكانت معركة هائلة ثنت فيها الفرس ثباتا قويا، ولكن المسلمين كانوا على الموت اصبرا، فاغتم الفرس ان يضطربوا، وكاوا، وانهمزوا، وجيش

(١) تسع فرار باعد في الوقت الحاضر وهي من الشمال لواء دبابي - شرقي بغداد - تبعد عن بغداد ٩٦ ميلا وهي طريق القوافل قديما وحديثا.

(محمد) يتعقب فلولهم، حتى احلهم الى ما وراء الجبال وكانت الفنائم شيئا يخرج عن الوصف لكثرة اموالهم السبي فكان شيئا كبيرا من احرار فارس، استعاد الفاروق منه وخشي من مصايده.

ولما وصل الحسن الى عمر كان على حسابه زياد بن ابيه، فقص على امير المؤمنين اخبار الوقعة وما كان فيها من الاحوال وما فتحه الله على المسلمين فقال له عمر:

هل تستطيع ان تقوم في الناس بتل ما كتبت به:

فقال: والله ما على وجه الارض شخص اعيب في صدري منك، فكيف لا اقوى على هذا امام غيرك.

وقام زياد في الناس خطيبا، وقص عليهم ما فتح الله عليهم وما كان منهم في حريمهم، فاحسن ما شاء الله ان يحسن.

فقال عمر: هذا الخطيب للصقع.

فقال زياد: ان جلدنا اطلقوا بالعمال لسانهم كتب الفاروق الى سعد باقرار الفلاحين على حاكم الامن حارب لوهر بن المدد وفي ذلك ما يدلك على بعد نظر الفاروق، واعتلمه بان لا تظل الارض دون فلاحها يعوتن بها، ويتنعم المسلمون بشاها وجوبها.

.....



لقد غشي فارس اثياض وخوف وقلق جعلهم يحسون معها ان العرب غالبون عليهم آخر الامر، ولكنهم كانوا قوماً فيهم مسألة وجراة ووطنية، فذهبوا يحاولون الوقوف في وجه الزحف العربي حتى بعد اقتحام المسلمين للدائن عاصمتهم، وغشيتهم الكثير من حواصيرهم وامصارهم، فجمعوا ما تيسر لم جمعهم من سلاح وجند في تكريرت<sup>(١)</sup>، فلما بلغ سعد ما اجمعوا عليه جرد عليهم حملة بقيادة عبدالله بن العثم اميراً، فتحصن الفرس في قلعة تكريرت، وكان معهم عدد كبير من عرب البصرة - ابياد وتغلب والنمر - فاصبرهم العرب وجرت بين الفريقين مناوشات ووقائع كانت القلعة فيها للعرب فقرّر الفرس التراجع ومغادرة القلعة ولكن عبدالله قائد الجيش العربي كان قد وفق الى استيلاء العرب الحارثيين اليه، فاسلموا ووعدوه المساعدة، وعدت وقعة الفرس بين القوتين فالتزمت السيف من كل جانب، واستولى المسلمون على الحصن واقاموا فيه حامية قوية.

وكان سعد قد جيز حملة ثانية بقيادة ضرار بن الخطاب افتتح كورة ماسيدان اولاه كركوك في الوقت الحاضر فاستولى عليها فكان ذلك خاتمة حروب الفرس في العراق، اذ ارتدوا بعدها الى العرب وتحصنوا في الجبال الفاصلة بين فارس والعراق، وبذلك

(١) بلدة معروفة في العراق على شفاة دجلة التي تبعد عن بغداد ١٠٠ اميال.

اصبح العراق كله تحت راية الاسلام. ولما ارسل سعد الى امير المؤمنين بغير هذا الفتح (الجديدة) اصدر امره الى سعد بان يسير قوة الى (الابلية)<sup>(١)</sup> لاحتلالها ليحول دون وصول مدد الفرس من ناحيةها حفظاً لحظاً رجعة الجيش من جهة الجنوب، فارسل سعد عترة بن غزوان لاحتلال الابلية فالتوى عليها، واحتط مدينة البصرة الحاضرة وانشأها وانزل فيها الجند واتخذها عاصمة لجند المسلمين في منطقة الاهواز والخليج العجبي، ولما الكوفة فقد صار تحت طاعتها سنة ١٧ للهجرة بامر من الفاروق، لما شاهد ضعف العرب وتبدل وجوههم من وخومة البلاد وانجر الهواء، فكانت قاعدة الجيش الاسلامي في منطقة الفرات ودجلة، وانهارت الحيرة بعدها، وهي على مسافة ستين ميلاً منها

....

واخذ الفرمزان في هذه الفترة - وكان يزل الاهواز<sup>(٢)</sup> - بغير على البصرة، يحاول اخراج المسلمين فصدر امر عمر الى عترة ابن غزوان وكان على جيش البصرة بمحربه - وكتب الى سعد بان يمدد بالجند والرجال، فدار عترة اليه فاجزء فطلب الفرمزان

(١) ابلية نهر عظيم في زاوية الخليج العجبي.  
(٢) الاحواز مقاطعة خوزستان او عربستان الايرانية كانت في الوقت الحاضر وباعينها قصبة الحيرة الواقعة على شفاة العرب.

الصالح، ثم نقضه، فماد عترة يستأذن امير المؤمنين في حربه مرة ثانية فاذن له وامده بالرجال، فكسر عترة الفرمزان واستولى على اكثر الاهواز، ولكن الفرمزان عاد كزة ثانية الى محاربة المسلمين فلما بلغ الفاروق ذلك بعث يسأل عن الاسباب التي حلت بالفرمزان على نقض الاتفاق اولاً وثانياً، وقد تبادر الى ذهن امير المؤمنين ان الفرمزان لم يكن ليثور ويؤيده اهل اللغة في ثورته هذه، لولا ظلم يلحق به ورجالهم، ولكن بعض رجالات المسلمين من الذين سألهم الفاروق عند ذلك، راحوا يوء كليون له ان ثورة الفرمزان لغير ما سبب ولت اهل اللغة يعاملون معاملة حسنة، فكتب عندئذ امير المؤمنين الى عترة يقول:

« اهرب عن الناس الظلم، واتقوا واحذروا ان يذال عليكم لغدر يكون منكم او يغي، فانكم انما ادر كنتم بالله ما ادر كنتم على عهد عاهدكم عليه، وقد تقدم اليكم فيها الخذلان فوفوا بعهد الله وقوموا على امره، لكن لكم عوناً وناصراً... »

والواقع ان انتفاض الفرمزان الكزة بعد الكزة لم يكن مردّه ظلم المسلمين له ورجالهم، وانما سببه ان كسرى فارس كان لا يزال حياً، وان العرب لم يكتفوا قد استولوا على بلاد فارس كلها، فكان كسرى والحالة هذه ما يزال يمرض الناس على الثورة والانتقام، وكان هؤلاء يندفعون بامرهم، ويجريون في سبيله.

ولكن الفرمزان لم يوفق، فلما استأنف غاراته على مواطن العرب، بعد ان امده بيزجرد بالسلاح والرجال، اتجه اليه بجيشان عريان واحد من البصرة والاخر من الكوفة، فالتزوه وهزموه، فانسحب الى (تستر) فلقحه الكوفيون وحصلوه فيها، ثم وافهم جند البصرة فالتحقوا واستبلا في القتال، ودارت بين الجيشين معارك كثيرة في خلال شهر واحد، فاز المسلمون في ختامها واستولوا على (تستر) واستسلم الفرمزان اليهم مشرطاً ان يفصل امير المؤمنين في امره.

فلما مثل بين يدي امير المؤمنين طلب ما تقدموا له ما طلب فقال: اخاف ان القتل وانما اشرب!

فقال له عمر: لا بأس عليك حتى تشرب

فاكفأ الفرمزان لئلا على الارض وقال:

لا حاجة لي بالماء انما اردت ان استأمن

فقال الفاروق: اني قاتلك

فقال: قد امتنيتي

وشهد له الحاضرون

ثم اسلم الفرمزان وانهله الفاروق في جواره بالمدينة.

....

ورأى امير المؤمنين ان المسلمين في العراق وحدود فارس

أن يستقيم لهم حال ، وملك الفرس لا يزال في اطرافها فقرر ان  
يزيل يزدجرد عن ارضه ، وان يأمر سداً بالفتح امصاره  
وبطائه ، وجاءته الاخبار وهو يبحث ذلك ، باجتماع اهل نهاوند  
على قتال المسلمين ، فارسل الى سعد بان يقش بلاد فارس ، وان  
لا يقف في زحفه ، حتى يستأصل جرلومة الشر ، ويقضي القضاء  
البرم على ما تقوم من جيش وسلاح وقوة .



### نهاية الاكاسرة

غضب امير المؤمنين علي العلاء بن الحضري عامل البحرين  
لانه اراد ان يهاجم الفرس بحراً دون ما امر منه ، وخشي الفاروق  
ان يصيب جند البحرين ما اصاب جند ابي عبيد ، فارسل الى  
عتبة بن غزوان وهو في البصرة ان يقش الى البحرين لمساعدة  
الذين نزلوا موطن فارس وامصارها ، وكتب الى العلاء بعزله ،  
وطارت الاخبار الى اهل فارس يزول المسلمين اليهم من البحر ،  
فتوافقت امدادهم وحشدوا للمسلمين بقوة وعنف ، وحالوا بينهم وبين  
الرجوع الى مدنتهم ، فلما طلعت خيل المسلمين بقيادة عتبة ،  
اقتتل الجيشان قتالاً شديداً حالف المسلمين فيه الظفر ، وثالوا  
من الفرس ما شاموا قتلاً واسراً ، ولما تم لهم ذلك رجعوا  
اندراجهم الى موطنهم في البحرين والبصرة .

....

واطلق عندئذ عمر بصره الى امصار العراق واراضه فرأى  
ان الجزيرة ، وهي البلاد الواقعة بين الفرات ودجلة لا تزال فارسية  
الحكم ، وكانت تنزل جنوبها قبائل عربية في قبائل ربيعة ويمنزل

غربها مضر ، فرأى من حسن السياسة ان يقم هؤلاء الاعراب  
الى الملكة الاسلامية الجديدة ، فاصدر امره الى سعد بتجهيز  
جيش لفتح الجزيرة ، وولى عليه عياض بن غنم وهو الذي اتدبه  
الصدوق لنزول العراق ، يوم اتدب خالد لغزو جنوبه ، فشى  
عياض بجيشه الى (الرها) فحاصرها فصالحه اهلها على الجزيرة وكان  
اكثرهم من النصاري ، ثم قصد حران فنجسين وديار بكر فاقبضهم  
جميعاً ، وادى عرب الجزيرة ان يشتركوا في حرب مع المسلمين ،  
اذابنوا انه لا طاعة لهم بهم ، وابوا في الوقت نفسه دفع الجزيرة  
لانهم كانوا ينفرون منها ، ولكن امير المؤمنين رأى ان يساهل في  
الامر تمزيراً للوحدة العربية ، ولتقوية للعصبة بين قبائل العرب  
فرضي بان يدفع كلة الجزيرة ، وان يقبل عرب الجزيرة منها ،  
مقابل دفعهم الصدقات المفروضة مضاعفة ، فعاد عندئذ عرب  
الجزيرة الى موطنهم ، وقاموا على ذراعها واستلواها .

....

ولقد ظل النضال بين العرب والفرس حتى اواخر سنة ١٧  
لهجرة مقتصرأ على المنطقة الواقعة غربي جبل حمرين ، وجنوبه ،  
وتشمل الاراضي العراقية الغربية ، ومقاطعي الاهواز واصطخر

(١) هي اودلة الحاضرة وهي من المنطقتين التركية اليوم

في الجنوب ، وكانت ميادين القتال تضطرب في ثلاثة موطن ، في  
الاهواز والمدائن والجزيرة ، وكان يزدجرد كما قدما لا يزال يدرس  
المناسك على العرب ، ويثير الفرس عليهم ، فلم ير امير المؤمنين  
بداً من القضاء على اصل هذه الفتنة ، وادرك انه لا يمكن  
المسلمون الى فتوحاتهم في العراق والاطراف فارس ، الا ان يقضوا على  
يزدجرد وجيشه ، خصوصاً بعد ما جاءت الاخبار الى قواد المسلمين  
باحتشاد جيش فارسي قرب نهاوند ، وعندئذ كتب امير المؤمنين  
الفاروق الى ابي موسى الاشعري وكان عامل البصرة «مر من عندك  
من الرجال» وكتب الى حذيفة بن اليمان ان يسير باهل الكوفة ،  
وكتب الى النعمان بن مقرن ليكون امير الجيشين عند اجتماعهما  
وقال في كتابه له :

« اما بعد فانه يلغني ان جوعاً من الاعاجم كثيرة قد جمعوا  
لكم بمدينة نهاوند ، فاذا نالك كتابي هذا فسر يا رب الله وبموت الله  
وينصر الله من معك من المسلمين ، ولا توطئهم وغراً فتودهم ،  
ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم ، ولا تدخلهم غيصة فان رجلاً من  
المسلمين احب الي من مائة الف دينار والسلام عليك »

وسار النعمان لما تلقى كتاب امير المؤمنين في جند المسلمين  
وفهم اعيان الصحابة ووجوه العرب والفرس ، حتى انتهى الى  
نهاوند ، وهي بلد تقع في جبال حمرين ، وهي الجبال التي تفصل بين



العراق وإيران في الوقت الحاضر، وكان الفرس قد احتشدوا فيها وحصنوها، فقتل أمانيا، وحُرب خيمه حولها، ووث عيونته ليتصرفوا له حال هذه الناحية، فأخبروه بأن القوم قد أقروا حولهم الحسك وهم يمتنون.

وتوافقت الامدادات على النعمان وهو في نهاوند وحرص الدين لم يشهدوا القادسية ولم ينالوا نظر الاشتراك فيها على شهود نهاوند ولم تكن دونها شأنًا، وكان مكنت (القادسية) العرب من الاستيلاء على العراق طوله وعرضه وحدود فارس وإطرافها حتى للمدائن العاصمة، فإن نهاوند قد مكنتهم من الاستيلاء على بلاد فارس كلها.

وجاء النعمان جنده، وكان يتألف على قول بعضهم من ثلاثين الفسقة، تل، فجعل على الجناح الأيمن حذيفة بن اليمان، وعلى الأيسر سويد بن مقرن، وولى للتقدمة نعيم بن مقرن، وولى المشاة القعقاع وقاد المومنة جشم بن سمود، وتولى هو بنفسه قيادة القلب.

وتقدم نحو نهاوند، فإذا الفرس قد تحصنوا فيها، وإذا هم يقاتلون العرب على حذر، فلما وجدوا كفة العرب راجحة خندقوا على أنفسهم لا يخرجون إلا إذا شاءوا.

وبعث قواد المسلمين للوقوف ثم صار الاتفاق بينهم على أن تنهد فرقة من المسلمين لحرب الفرس في القداة، ثم يظهرون

بالانكسار، ويرتدون فيلق الفرس بهم، فيقطع عندئذ بقية الجيش عليهم خط الرجعة، فيصبح العدو بين يدين، أن يوفق إلى الخروج منها أبدًا.

وكلف النعمان القعقاع بأن يارح الفرس ويخاطبهم بما كرم ففعل وعرض نفسه وفرقة لقتالهم، ثم انكسر مرتدًا، فظنوا الإعجام هزيمة حقيقية فاختصموا، وخرجوا من حصونهم حتى لم يبق منهم سوى من يحرس الأبواب، وتقهقر القعقاع إلى حيث يكن جيش المسلمين بقيادة النعمان، وقد أمر هذا رجاله بأن يلزموا الأرض لا يخرجوا ساكنًا ولا يقاتلوا حتى يأذن لهم، فكانوا يسكنون لما يريهم به الفرس من تشاب حتى يأذن لهم أميرهم، فلما فعل، وانبعثوا إلى الأعداء فقتل الفريقان قتلا شديدًا لم يسلم الناس بوقعة يوم قط. كانت أشد هولًا منها، وقتل من الفرس فيها بين الزوال والشمسة ما طوى أرض البلدان، وما يزل الناس والدواب، وأصيب أمير الجيش النعمان، فأخذه أخوه سواد وسجاء بثوبه، وتناول الراية حذيفة بن اليمان، ولم يعلم الناس باستشاد النعمان، وكرم ذلك من غله، لئلا بين الجند، حتى إذا أقل الليل كانت كفة المسلمين قد رجحت رجحانًا، جعل الفرس يفسكون بالترجيع والارتداد، ولكن ارتدادهم هذا القلب بعد ذلك إلى انكسار مربع، تشتت معه جيش فارس وانهمز شر هزيمة، وأخذ القعقاع يتعقب قومه حتى همدان.

وقد حال هذا الظفر المائل سكان البلاد القريبة من نهاوند، فطلبوا الأمان والصلح واحتوى المسلمون على ما في نهاوند من ذخائر وحلى، وصار تقسيمها بين الحارثيين بعدما صار إرسال الحسن إلى أمير المؤمنين، الذي لشجاءه موت النعمان بن مقرن، فسكاه بكم شديدًا حتى سمع له نسيج، وأصدر أمره إلى جيش الإسلام بالاستيلاء في أرض فارس، والفتح أمامها، وبلداتها، وقطم دابر الفساد فيها، والقضاء على كل قوة تحاول الوقوف سبي وجه العرب والإسلام.

ويصف مؤرخو العرب معركة نهاوند بقول المشرك بن جهمين: «أن يزجر د اردن بدمعركة جلولاء إلى مدينة ري<sup>(١)</sup> في شمالي إيران متخذًا إياها عاصمة الأمير الطورية الفارسية ودة عدة جيوشه وكبراء ملكته، وطلب من قواده بعد ما متي به من فشل أن ينفقوا موقف المدافع وأن يدافعوا عن جلولاء حتى النفس الأخير، ولكن القواد لم يأبهوا لنصائح ملوكهم كما يظهر، فلما لم يجرأ ذلك فشل عظيم وسقطت على الأثر جلولاء الحصينة في يد المسلمين ولكن يزجر د ظل ثابتًا يحاول بمختلف السبل صد المسلمين عن بلاده ورد جيوشهم عن غشيان أمصاره ومواطن آياته وأجداده

(١) تاريخ معركة نهاوند ٦٤١ ميلادية

(٢) هي قرية جدا من طهران الحاضرة

وزاد في أمه ما شاهد من ثبات الحرزيان في الجنوب ومقارحته العرب الأشهر العديدة، حتى لقد ذهب بعض المؤرخين يقول أن عدد المعارك التي وقعت بين الحرزيان والعرب تقرب من ثمانين معركة تمكن بعدها العرب من اقتحام الأهواز وعندئذ أخذ كسرى فارس بجميع جيشًا قويًا يقف في وجه الكتائب العربية التي أخذت تفكر بالرحيل على إيران وأمصارها وكان عدد الجيش لا يقل عن مائة وخمسين ألف مقاتل، خندقوا على أنفسهم في مدينة نهاوند.

وعهد يزجر د إلى الفيروزان وكان قد شهد القادسية بقيادة هذا الجيش، وأما الجيش العربي الذي كان يتقدم نحو نهاوند فسكان بقيادة النعمان بن مقرن، وكان بعد ثلاثين عامًا، وقد حاول النعمان منذ وصوله إلى نهاوند أن يجعل الفيروزان على الخروج بجندته لمجالدته ومصالوته، ولكن الفيروزان رأى من حسن السياسة أن يعصم في حصونه وخنادقه، وأن يترك العرب في العراق حتى ينضب ما لديهم من زاد، ويتولاهم التعب والمياه.

ولكن النعمان كان صاحب مكيدة فذهب يروج بين جنده قائلاً: أنه قد توافى شيراً بوفاة الخليفة، وأنه مضطر والحالة هذه أن يعود إدراجهم مع جنده.

وأخذ فعلاً يرتد نحو العراق، فوقع الفيروزان في الشرك وخرج

من نهلوند ولم يكن خروجه على ثعبية ولا منتظا ، فادرك النعمان بعد ثلاثة ايام ، فوجد في ساحة من الارض قد تسطت فرقة فيها ، وهو على ثعبية كانا هو يستعد للحرب والقتال ، وما كاد القوس يشرفون على هذه الساحة حتى هاجمهم العرب بشدة وحقن ، فارتدت جموع الجيش الفارسي امامهم ، وقتل الفيروزان واستولى على القوس رعب شديد جعلهم على الفرار دون ما ترتيب ولا نظام فهلك اكثرهم ، وزاد في حقد العرب وغضبهم موت قائدهم ، فراحوا بطاردوت فلول الجيش الحاربة حتى وصلوا الى همذان التي راحت تستسلم دون ما مقاومة ولا ضربة سيف . . .

اما مورخ الفصل الخاص بالفتوحات العربية في تاريخ التواريخ المطبوع بالانكليزية ، فانه يذكر ان يكون يزجرجرد هو الذي اشأ جيش نهلوند وجمع اثنيائه ، وجعل القيادة للفيروزان عليه ، ويقول ان يزجرجرد حرب الى الجبال بعد ما اصابه من قتل ، وارت التواد والفارس انفسهم ، هم الذين جمعوا انفسهم في نهلوند وحاولوا ان يفتقروا في وجه العرب دفاعاً عن حضارتهم ودينهم . . .

والواقع ان معركة نهلوند كانت فتح الفتوح ، وخاتمة الاعمال العسكرية العربية الكبرى في ايران ، فقد مكنت هذه المعركة الجيش العربي من اقتحام ما حولها من بلاد واصفار ، وسهلت له سبل التوغل في بلاد ايران كلها ، فتش الاحف بن قيس التميمي

الى (خراسان) ، وسار بجاشم بن مسعود السلمي الى (اردشير وسابور) ومشي عتيان بن ابي العاصم التقي الى اصطخر ، وركب الارض سارية بن زليم الكناقي الى (فسادار جرد) وتقدم سويل بن عدي الى (كرمان) ، وعاصم بن عمرو بن عمرو الى (سجستان) والحكم بن عمير التقي الى (مكران) .

وامد الفاروق بعض هؤلاء بنفر من اهل الكوفة فامد سويل ابن عدي بعد الله بن عتيان ، وامد الاحف بملقمة بن النضر وغيره ، وامد عاصم بن عمرو بعد الله بن عمير الاشجعي ، وامد الحكم بن عمير بنسحاب بن الفارق .

ولم تكن هذه الفرق وحدها التي تقدمت نحو ايران ، فقد كان هناك ايضا غيرها وسواها ، بل لقد كان هناك من هو اكثر منها عدداً ، واعز سلاحاً ورجلاً ، فقد مشى جيش البصرة من الاهواز واصطخر لاقتحام جنوبي ايران ، مباشرة اعماله العسكرية من الجنوب ، وكان بقيادة عبد الله بن عبد الله بن عتيان ، وتقدم نحو (اصهان) فاحتلها وصالح أهلها على الجزية ، وتقدم تميم بن مقرن من وسط ايران بقود جيش الكوفة ، فسار حتى خراسان وقنع قزوين ، وكان على رأس الجيش الشاهلي عتبة بن مرقد وكر ابن عبد الله ، فسار الاول من الموصل وسلك طريق اربيل - رواندوز - رايات الحالي ، ومشى الثاني من حلوان قاصداً

اذريجان في قلب البلاد الايرانية ، ولقي هذان الجيشان مقاومة شديدة امدحها عمر على الزها نعم بن مقرن ، فلقق بهما حتى تم لهم فتح اذريجان . . .

....

ولقد كان يزجرجرد ملك الفرس في مرو الشاهجان لما تقدم نحوه الاحف بن قيس ، فانتقل منها يزجرجرد الى مرو الروذ ، وكتب الى ملك الترك اللقيم في بلاد ما وراء النهر يستعده جنداً يقاتل بهم العرب فامده ، وكتب الى ملك الصين وغيره يثل ذلك ، ولما علم الاحف بتمكن كسرى تقدم نحوه ، فانتقل الى بلخ فلققه ، وكان كسرى قد جمع بعض الجند ، فحاول بحاربة الاحف وصدده عن الاحق به ، فكسر الاحف جنده ، فهرب كسرى نحو النهر فعبه بن بقي معه من الجند .

وما كاد يزجرجرد يبر النهر حتى تواردت عليه الامدادات من الترك وغيرهم فكر راجعاً الى حيث الاحف وجيشه وجرت بين الفريقين معارك انتهت بارتداد الترك وهرب كسرى كربة ثانية .

وفي هذه المرة لم يعد كسرى يوفق في تنظيم جيش جديد ، وظل شريداً يحاول ما استطاع اثارة الفرس على العرب ، فيوفق قليلاً ، ويقتل كثيراً ، وظل هذا شأنه عشر سنوات حتى سقط قبلاً في خلافة عتيان بن عفان

## فتح المدائن

وقد رأينا بمناسبة انتهاء الفتوح الفارسية ان التسط في فتح المدائن وما كان فيها من حل وجواهر فنقول :

وفي صيف سنة ١٤ تقدم سعد بجيشه لحصار المدائن ولقد العرب يومئذ بالتحقيق والشدة الحصار بأهلها فأرسل مالك يطلب الصالح على ان تكون المدائن العربية للفرس والشرقية للجمع ، رافض سعد وهاجم اسوارها ثم دخلوها فلم يجدوا احداً فيها لان أهلها هربوا منها واحتلها العرب بسلام لا علم يزجرجرد بسقوط المدائن الغربية بمثل ساءه ، وكنوزها الى حد ان في جبال العميم وأخذ بفكر بالمزقة ، اما سعد فلم بجيشه ان يتقدم النهر بالرواق فلم يجدها لان الفرس أخذوها ، وفي هذه الاثناء ساء من رجل من العميم وطمع على سفاقة يمكن اجتيازها الا ان سعداً يخوف بسرعة جريان دجلة ثم اتاه ذلك الرجل مرة ثانية وقال له : « ما بقيدك ! لا يأتي عليك ثلاثة حتى يذهب يزجرجرد بكل شيء » في المدائن « فيجبه ذلك علي الصبور فجمع سعد الناس وقال « ان عدوك قد اضعف منك بيد البحر . . . وليس وراءك شيء » فلقون ان يومئذ منه وقد رأيت من الرأي ان يجاهد البده قبل ان تحصدكم الدنيا والاقي قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم .

فقالوا « عزم الله لنا ذلك على الرشد فاسلم » فقال سعد من منكم يقطع هذا البحر ويحبي لنا ذلك الجانب حتى تأتي اليه ، تقدم ناسم بن عمرو وبعده ستائة من أهل البعثات الشحمان واستعمل سعد ناصباً وجعله أميرهم فقسعهم هذا الى عشر طلائع ، كل طليعة ستون فارساً وبعطيهم على خيل ذككور واناث ليسرهم الى التحام النهر بساحة ، وتقدم الطليعة الاولى واقتضت غيوطاً دجلة فلما رأى الامام بعثوا اليهم بجبل التجمعت النهر ولم



تبعه طيل الفرس كثيرآ عن الفقة حتى اتهم حاصم وقال لرجاله :

« الرماح ! الرماح ! أشرعوها ونحوها البون » فالتفتوا في الماء ووارتد الفرس وتبعهم طلائع حاصم حتى وصلوا الفقة اليسرى ، فطاردتهم سعاد الذين للناس في الاتهام فقتلوا البر وخربوا منه سائين وخيولهم نذض اعرافها من الماء  
 شقق الفرس اثم خلويون لما رأوا جيش سعد يتقدم نحو المدينة فخرجوا منها حاربين نحو حفران في بلاد ايران ولم يتمكن يزودهم وحاشيتهم من قتل كل ما في القصور من كنوز ومتاع وآنية ، وتقدم العرب الى اللذان وكان اول من دخلها كتيبة الاموال وهي كتيبة حاصم بن عمرو ، ثم دخلت كتيبة القنطاع ، ولما وصل سعد ومعه والده سلمان الفارسي بحث بعض رجاله يتقبون فلول جيش الفرس ثم دخل ابوان كسرى وجعله معلى وقرأ « كم تركوا من جنات وحيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكين » كذا ذلك ولورثاها فوما آثرين » وصلى فيه صلاة الفصح ، وكانت قائيل كسرى لا تزال فيه ، ودخل المائقون ابوان كسرى الذي جاءه العيران ووفوده من قبل وصموا فيه مفاخرة كسرى بقومه واحتقاره العرب ، وكان ذلك القصر من مفاخر الاكامرة على حالي ، فدخله اثنا عشر عامودا وعلى جدرانها الصفائح النقيشية وكان ام ما في القصر فاقته الكسرى او الابوان وارثاها ١٢١ قداما وعرضه ٨٢ قدما وطوله ١٦٤ قدما وكان سقفه قبة زرقاء تطل لا فيها النجوم وفي ارضه سباط كسرى الشمين ، وكان من آخر ما صنعت به فارس ، يمثل يستأنا من بنا بالاسجار الكبرية ، قبل ان عماشيه من الفقة ومروجه من الزمرود وأهلاره من اللؤلؤ ، وقد أرسل هذا البناء الى عمر فأمر بتقطيعه وبقا لاشارة الامام علي بن ابي طالب .

كانت ضائم العرب عظيمة جدا : كنوز من ذهب وفضة ، اواني فضية وذهبية ، تيجان الاكامرة وسويهم المرمعة وتياجه المراكشة امام عرض

كسرى .

وفي تلك القاعة الخائبة وبين تلك المهورات وقف العرب مبهوتين حيارى امام روعة الثمن وجمال البقرية  
 وبذلك كرموا ربح العرب أخيرا كثيرة وجدها الثاقون ، معها ناقة من ذهب وفارس من فقة راما السك والطوب والكالور فكانت كبتها كبيرة حتى ان العرب حبسوا الكالور ملعا فحبسوا به ، فوجدوه مرقم جاء موظفو بيت المال وقرقوا هذه الفنائم بين ثلاثين الف جندي ، وقد بلغت حصة الجندي ما يقرب من اربعمائة ليرة ذهبية وأرسلوا خمس الفائم الى المدينة



### عظة الفتوح الفارسية

جلونا في تاريخ الصديق الاسباب التي اعابت به رضي الله عنه الى السباح العرب المسلمين بالانسياح في العراق بعد حروب الردة ، وما كان من اجتماعه بالثني بن حارثة ، وهو من بكر بن وائل (عرب العراق) ، وكان للثني قد أخذ يفر على سواد العراق دون ما اذن الخليفة فوفى بعض التوفيق ، فجاء يتحدث الى الصديق بسأله للمونة والنصرة ، وينفض له موقف الفرس وايدائهم للرعية فورغبة العرب في التحرر منهم ، فصادف الحديث هوى في قلب الخليفة ، ورأى فيه سبيلا يحول به بين العرب وبين التفكير بالثورة والفتن ، ويشغلهم عن أنفسهم ، ويدفعهم الى الجهاد في سبيل الله والاسلام ، فوافق للثني على ما ارأاه من رأي ، وأرسله بجاهداً ومجازيا ، ولما انتهت حروب الردة سير الصديق خالداً الى جنوب العراق كما سير عياض بن غنم الى شيلها ، وقد وفق خالداً كل التوفيق في حروبه العراقية فتراجعت امامه كتائب الفرس ، وتخاذلت قدامه الحصوم ، وظل هذا شأنه حتى وجهه الصديق بدداً لجيش الشام ، فظل للثني بجبال الفرس وحده حتى كانت خلافة الفاروق وارساله سعد بن ابي وقاص قائداً علما

وقد رأى القراء في الفصول السابقة كيف تمكنت جيوش الاسلام من اقتحام امصار فارس عرضها وطولها ، ونجتها الى الامبراطورية العربية .

ومن الحق ان تعرض في هذا الفصل الى ما يظم في خفايا هذا هذا البحث من رغبة الفاروق في الوحدة العربية ، وضم الاعراب بعضهم الى بعض ، لا فرق في ذلك عنده بين مسلمهم ونصرانهم اقامة ان العصبة العربية تكفي لتثبيت هذه الوحدة التي كانت ضرورة للتوفيق في وجه القوت الاجنبية التي كانت تهدد العرب بالاستعمار والاستبعاد ، وما تساعل الصديق مع غرب الجزيرة الا دليلاً قاطعاً على سياسته هذه ، واعتياده بان تكون امراً منظوراً ولفاً .

وإذا كان سعد بن ابي وقاص قد وفق في اقتحام فارس آخر الامر ، فليس يجب علينا ان نتناسى الامر العظيم الذي كان لحاله في ذلك ، فان هذه الانتصارات الحثلية التي كانت مل السمع مل البصر اول الفتوح ، هي التي اوعت نفوس الفرس ومزقت سمعهم الحربية ، وقضت على المية التي كانوا يعتمدون بها في بلاد العرب ، والتي كان يظن معها العربي ان كسرى وجيشه ، اذبح من عقاب الجو ، واعظم ما يظن ويعتقد فكان ذلك مما جعل العرب يتطوعون في جيش العراق ، بعدما ذهبت هبة الفرس من نفوسهم ، واخذوا

يؤمنون بالفتنة عليهم ، وقد أحسنهم الجهاد في سبيل الله ، وما وعد به القرآن الشهداء في سبيل دينهم من جنة ورضوان ، والوفاء ان هذه ظاهرة يجب ان يعني بها من يحاول دراسة التاريخ ، فالجنة والموت في سبيل الاسلام والعربية كائنا من الاسباب القوية في تغذية الجاس في نفوس العرب ، واستنارة عواقلهم ، وتغورهم من كل صقم للجهاد والحرب ، وثباتهم في الزحف ، وجرائهم في الهجوم ، واستسلامهم في المعارك ، مما لم يشهد العالم مثله جاساً وشدة وقوة

ولا بد من الإشارة ايضاً الى ما كان لنظام توزيع الثنائين اثر في الحروب والمعارك ، والنظام يقضي بتوزيع اربعة اجلس الفتيمة او ٨٠ بالمئة على الجيش الحارب ، واستبقاء العشرين الاخرى لبيت المال - خزنة الامة - لانفاقها على المصالح العامة ، لان الثروة التي استولى عليها المسلمون في حرب فارس ، كانت عظيمة بحيث ان سهم العربي القاتل كان يبلغ احياناً اثني عشر الف درهم ، وهو مبلغ لم يكن العربي قد استمتع به كما قدمنا ، ولا كان يعلم ان يراه في ثوبه . . .

وهذا النظام قد ذهبت به الايام في العصر الحاضر ، واصبح الجندي الحارب تحت كفة الدولة ، تقدم له كل ما يحتاجه من مأكل ومشرب ولباس وراتب ، وما في صدر الاسلام قد كان الجندي ومسؤولاً عن حاجياته وشؤون ما عدا السلاح وكانت تقدمه لمن

لا يملكه ، ولكن اكثر العرب كان عندهم سلاح في ذلك الزمن ، وكان على العربي ان يتابع فرسه ، ويقدم له علفه ، وقد نص الشارع على ان يكون سهم الفارس اكثر من سهم الرجل في الحرب والقتال ، فالعربي الذي سابر جيش القادسية وما قبل القادسية حتى اقتحام فارس كلها امكنه ان يعود الى بلده واقر النقي عظيم الثروة ، وان كان اكثرهم فضل السكنى في البلاد التي اقتنمها ، واهرق دمه في سبيلها

....

لما الاسباب التي ساعدت العرب في حروبهم وانتصاراتهم فقد عرضنا لبعضها في تاريخ الصديق وزيد الان انت من اهدأ شملة الجاس التي كانت شور في قومك من قبل ، كان نظام الجنود المستأجرة عند الفرس كان عقبا فاسد الاثر ، باذي الحطال ، اذ لا يعقل ان يحارب هذا الجندي في سبيل عقيدة ليس يؤمن بها ومذهب لا علاقة له به ، وفكرة لا يحبه ، امرها شيئاً ، لقد كان يحارب طمعا في ما وعد به من مال ونوال ، وشرط ان يكون الحصص ضعيفاً لا يطيق كرماء ، فما اذا كانت الحصص قوياً ، فالجنود المستأجرة اسرع الى الحرب منها الى الثبات والحرب ، ولست لانكر الى ذلك كله ما كانت تبعه في فارس ابان الزحف العربي من اضطراب داخلي ثم ما كان للحروب الفارسية الرومانيات تأثير اهنك الفوتيين

واضعها جندياً وسلاحاً ولكن هذا كله ليس بمنع الامر الواقع وهي ان قوة الفرس كانت اضعاف قوة العرب ، واذا كان بطون العرب ان يهدوا الفرس بعشرة آلاف مقاتل ، فقد كان هؤلاء يصمدون فلم يسمين الثنائين لا يوفقون الى وقف الزحف العربي الجازف الذي كان على قمة رجالة كالجبال قوة ومضاء وشدة وثبات ، ولقد استغرق فتح العرب لفارس ما يقرب من سبع سنوات وفق المسلمون في آخرها ، الى اكتساح ايران من اقاصم الى اقاصم ، وانقلبوا على الفرس في كل معركة صمد هؤلاء ، فيها ، وقد صمدوا لهم في كل وقت ، ونازلهم في كل شبر من الارض وظل العرب يطاردونهم ويحاربونهم من نهر الفرات الى نهر جيحون - وهو الحد الفاصل بين بلاد ايران الحاضرة وبين افغانستان وكان كذلك في العهد القديم - فوقفوا عنده يابر من الفاروق نفسه حتى استوفت الاعمال العسكرية في العهد الاموي فاجتازوا النهر واحتلوا ما وراءه ونشروا الاسلام في ربوعه

ولقد كان العرب يحاربون فارس والروم في وقت واحد وكانت الميادين القتال عديدة وكثيرة ، ولو راح العرب يحاربون فارس وحدها لما طال احتلالهم لها الى هذا الحد ، ولا كان بإمكانها ان تقف في وجه العرب هذه الاغوار العفيدة اما كفاءة القواد العرب - وهم الذين لم يسبق لهم مثل هذا

الزحف والحروب - فقد كان من الزوعة والعطلة بالمسكن الارهم فهذا خالد وزحفه وحروبه وانتصاراته كانت وما تزال دروساً رائعة في الفن العسكري لا مجال خلت ، واقوام سقوا ، وهذا الذي قد اظهر حقاً انه من اكفأ قواد العرب بعد خالد ، واشدهم جرأة وبراعة وحسن تقدير للامور والظروف والاسباب اما سعد بن ابي وقاص فكان رجل ادارة اكثر منه رجل حرب وسلاح ، وكان ليلاً في غير ضعف ، قوياً في غير خف ، وتعبته جيش الاسلام في القادسية كانت حسنة موفقة ، ولكنه في الواقع لم يكن غير قائد لا يستطيع ان يترك ساكناً دون امر يأتيه من امير المؤمنين ، والحرب في فارس بعد خالد بن الوليد والثاني بن حارثة ، كانت مسيرة يابر الفاروق نفسه ، فهو الذي كانت يصدر لوامره من المدينة الى قواده بالتقدم والوقوف والزحف والتراجع ، واذا كان هناك من فخر في حروب فارس فهو يعود لعمر ابن الخطاب دون غيره وسواه من القواد والحاربين

....

وقد عرض الأستاذ (امان) الحاضر في جامعة اكسفورد ، لهذا الجاس العربي المائل الذي كان يملك الحصون ، ويترك الجبال ، فلا يستطيع ان يقف في وجهه شيء ، او ترده قوة ، ووصف عجب الناس خصوصاً ، الكتاب المعاصرين ، والمؤرخين الغربيين لما



أخذوا يعرضون لشأه الاسلام فواتقناه موطن الفرس والرومان ،  
يقعون سبياً تاريخه على اخبار هذه الجهات المائلة ، والارحوف  
السر بعة ، وضعف الفرس والرومان - وكذا في سالفات الأيام اعز  
من العرب قوة ، وامضى سلاحاً - عن الصمود لما ورد ثورتها ،  
وكيف حار بعضهم في تفسير هذه الظاهرة التي كانت شيئاً جديداً ،  
ليس لهم به عهد ولا معرفة وكيف زال عنهم ، وتلاشت حيرتهم ،  
لما استمعوا الى حديث المسلمين المعاصرين يصمدون للجيش الانكليزي  
المدرب الجديد في معركة (فاني) (ابو علي) ومعه السلاح الموقر ،  
والبنادق السريعة ، والمقرليوزات الكثيرة ، والمدافع المديدة ، فلا  
يرد عليهم كل هذا عن اقتحام صفوفه ، ومساولة زحفه ، والاستيصال  
في مقاومته ، لا يردهم مدفع ، ولا يغيثهم رصاص ولا نار ، وهو  
ما حمل المؤرخين على اعادة النظر في ما كتبوه ، واصلاح ما تشروه  
بين الناس عن جيوش الاسلام الاولى ، فهو كدونه كانت تنعم به  
من حاس لم يكن باستطاعة الفرس والرومان وما ينعان به من سلاح  
وفن ان يخفقا من خطرهما ، او يتهدا من حديثها ، بعد ما ابتغوا انه  
ليس امام الحاس الوطني قوة ، وليس امام الشعله المحدية هذا سلاح ،  
لقد كان المسلمون الاولون لا يرون كبير امر في الموت ، بل  
لقد كان اكثرهم يطلب الشهادة ، ويسعى اليها ، واما خصوصهم فان  
احداً منهم لم يكن يطلب الموت ويريد ، فكانت من الحق والمطالعة

هذه ان يكون النصر بجانب الذي يضع حياته على شفا سيقه

شعلة هائلة حقاً هذه التي يمددنا عنها الاستاذ (اومان) ،  
وكيف لا تكون محيطة قوية ثيرة وروح محمد نضديا ، والقاروق  
بوقدها ، ان في حياة هذا الرجل المليئة بالاخلاص والتضحية ، ثوراً  
كان يقضي ما امام جنوده وقواده من طرق وسبل ، عتف فف جنده ،  
واخاص فاخلص حكمه ، وضحي بنفسه وجسمه في خدمة الاسلام  
والعربية ففعل قواده وجنده مثله ، متأسين به ، متأخرين خطواته  
لقد اراد احد قواد امير المؤمنين ، قيس بن سلمة ، ان يتكف  
خدمته ، ويكتسب مرضاته ، وكان على حرب الاكراد فسار اليهم  
وهزمهم ، ولما قسم الاسلاب وجد حلبة فقتل لرجاله :  
- ان هذا لو قسمته بينكم لم يبلغ منكم شيئاً ، انتظيب  
نفسكم ان نبعث به الى امير المؤمنين هدية منا اليه

فقالوا : نعم قد طابت انفسنا

فجعل تلك الحلبة في سقط ثم بعث برجل من قومه يحملها الى  
عمر ، فقال الرسول يحدث عن نفسه :

« اتيت المدينة فاذا عمر يقدي الناس متصكناً على عصاه كما  
يعتصم الراعي ، وهو يدور على القضاة ، فلما دُعيت اليه قال : اجلس ،  
جلست في ادنى الناس واذا طعام فيه خشونة ، وطعامي الذي ممي

اطيب منه ، فلما فرغ الناس ورفعت القضاة مشى الى منزله فالتبته  
فدخل داراً ثم دخل حجرة ، فاستأذنت وسلمت ، فاذت لي ،  
فدخلت عليه فاذا هو جالس على مسح متكى ، على وسادتين من ادم  
محشوتين ليفاً ، فنبذ اليّ باحداهما فجلست عليها ، فاذا هو في جهة  
فيما يبت عليه ستر فقال : « يا ام كلثوم غداً تا » ، فخرجت اليه  
خيزرة بزي في عرضها ملح لم يدق ، قال :

« يا ام كلثوم ، لا تخرجين الينا فأتين معنا من هذا ؟

فقلت : اني اسمع عندك صوت رجل

قال : نعم ... ولا اراد من اهل البيت

قلت : لو اردت ان اخرج الى الرجال لكسولني كما كسا  
ابن حنفر امرأته ، وكما كسا الزبير امرأته ، وكما كسا طلحة امرأته  
قال : او ما يكفينك ان يقال لم كلثوم بنت علي بن ابي  
طالب ، وامرأة امير المؤمنين عمر بن الخطاب

ثم قال لي : لو كانت راضية لاطعتك خيراً من هذا ، فالتت  
وطعامي اطيب منه ، ثم حدثته بامري وخبر الحلبة ، فولى غاضباً  
وقال :

- والله لئن تفرق المسلمون في مشائهم قبل ان يقسم هذا  
فيهم لا تضل بك وبصاحبك كذا وكذا ، فارتحلت حتى اتيت  
ساعة فقلت : لا بارك الله لي فيما اختصصني به ، اقسم هذا سيقه

الناس قبل ان يصيبني واباك من امير المؤمنين ما تركه قسمه عليهم

قصة تصور لنا نفساً ادري اذا كان سبحانه وتعالى قد خلق  
بعد رسول الله مثلاً ، نفس ترض عليها الدنيا فتدور بوجهها عنها ،  
لقد كانت الحلبة ملكاً حلالاً لامير المؤمنين من اصحابه لو ارادها ،  
ولكنه يرسله القوم جند الاسلام وعزه ، فهو يريد توفير السعادة  
والثراء لهم ليزيدهم ذلك جهاداً في سبيل الله ، ورغبة سيقه مرضاته  
ورضوانه ، وكان يريد ان يقطع مادة الطموح الى مال  
للمسلمين ، فلو اخذ الحلبة ، لكنت هذه سنة من بعده يعمد لها  
الخلفاء متأولين ذلك ، كان من عمر نفسه ، وقد يفرقون  
فيأخذون من مال الامة بحق وبغير حق .

ولكن القاروق رضي الله عليه تناسى ان ما يجاوله من سنة هو  
فوق الطاقة وفوق الامكان ، وان من بعده من الخلفاء والعمال قد  
امتدت ايديهم الى اموال الامة سلباً ونهباً ، واجترأوا على الصالح  
العامه ظمناً وعدواناً ، فاداهم الله ، وذهب ملكهم ، وجعلهم عبيداً  
مستضعفين ، بعد ان كانوا احراراً حاكمين ...

## الوثبة العربية على سورية وفلسطين

وقفنا في تاريخ الصديقي بعد أن طويينا في ما سبق من صفحات قرأنا من أروع تاريخ الإسلام، حتى استوفينا في اليومك تصور هذه المعركة الهائلة التي كانت من الحطارة والعظمة بحيث أدالت سلطان الرومان عن سورية وفلسطين، ثم أريد للدينه يحمل الى المسلمين موت الخليفة الصديقي وكيف كانت خيبة المسلمين بخلقتهم حالاً يستطعم قمر صنعه، خصوصاً وقد كان من اقرب الناس الى رسول الله، واجههم الى المسلمين والصقهم بالزينة، واكثرهم عدلاً، وتقوى ووطنية وإيماناً.

ولكن المسلمين العرب ذلك العهد كانوا أمة ناشئة تجمع بالعقريات، وتضطرب بكثير من أقدار الرجال، ونوايا المفكرين وأعلام الهدى، وكانوا قوماً إذا مات منهم سيد قام سيد، فلما أخذ هذا الصديقي<sup>(١)</sup> إليه استوى عمر بن الخطاب أميراً للمؤمنين، وما عمر

(١) توفي أبو بكر الصديقي بالي، وتنت ذلك اليوم بما ورد من عاتية ابنه وزوج رسول الله، وأخيهما عبد الرحمن بن أبي بكر من أن الصديقي اغتسل بالي، في يوم بارد، فأصابته الحمى، ومات بعد خمسة عشر يوماً من مرضه فيها

بالقل من الصديقي ووطنية وجرأة وإيماناً وحماً

ولقد عرضنا في تاريخ الصديقي معركة اليومك بشيء كثير من التفصيل والتسلسل، وإن كانت المعركة قد وقعت سبب خلافة الفاروق حتى، لأنه لما أشرف يريد المدينة يحمل خبر وفاة الصديقي، كانت المعركة في نهايتها، وكانت الفاروق أمير المؤمنين لا يلم خلت، والمعركة لم تدم إلا يوماً واحداً، ثم أن الفاروق خليف بان يمضي بفخرها، ويذهب بالمجاهد وأيامها<sup>(١)</sup>.

(١) يصف (Laurence Oliphant) في كتابه (The land of Gilead) كيف ساج في فلسطين، وكتب أرض اليومك ليشاهد هذا الاديء التي دارت عليه المعركة العظيمة، وكيف جلس فوق التبر الذي يقع تحت أرض اليومك التي تملو عنه حسيات قدم، وتقوم فوق آثار مدينة قديمة اشترنا فيها في تاريخ الصديقي، ولما است اسمها (برموت) ومكان المعركة يقع بين الشام وبصرى، وكان عدد الروم فيها ٩٠ ألفاً

أما الواقعة فاني - الأرض التي وقعت فيها معركة اليومك وتقعها الوديان من أطرافها الثلاثة، وكان الروم يسيطرون على أرض المعركة والعرب يملكون الطريق إليها، ولم يكن لما طريق سوى منفذ ضيق، فلما وقعت المعركة ومحمد القرين الواحد الآخر، ثم دارت المأزق على الروم أخذ العرب يدفعونهم نحو الوادي لسط كثير منهم فيه سقوطاً مميماً (١)

وفي مجمع البلدان أن اليومك وأد ناحية الشام في طريق النور يسب في نهر الأردن، ثم يغني إلى البحيرة المنقطة

ويقول الأمير علي الهندي في كتابه عن الدولة الإسلامية أنه يوم سقط (١) جيلان: تاريخ العرب ص ٣٣١ (الأصل الانكليزي)

والذي يلوح للباحث المعاصر، أن الروم لم يروا كبير أمر في زحف الجيش العربي على أرضهم ومواطنهم أول الأمر، ثم يأبوا له ولا نفروا خلا لصد، وقد كانوا يظنون على الأرجح أنها غارات بدوية لا تلبث أن تعود إلى الجزيرة بعد أن يصمد لها أهل المدن الواقعة على الحدود، فلما وجدوا العرب يفتحون المدن، ويقبسون فيها الحرم والولاء، أدركوا أن الأمر غير ما يظنون، فاحتذوا عندئذ

وجهته الطبيعة اسرافاً والفتار، يقيم من مرتعات حوران، ويصب في الأردن جنوبي بحيرة طبرية بانيال قليلة، وعلى نحو ثلاثين ميلاً من التقائه بالأردن توجد في الطرف الشمالي فتحة على شكل نصف دائرة تحيط بسهل متسع صالح لمعسكر جيش كبير، وضماف هذا النهر وجره متحدرة، وعند منفيق هذه الفتحة تنق بكومت مدخل هذه الأرض المنسطة التي في الداخل، وهذه البقعة تسمى الواقعة ذات الشهرة العظيمة حيث تاريخ الوقائع الإسلامية

وعلى ذكر بصرى نقول أن المستر (Simon Orkley) في كتابه عن تاريخ العرب حتى خلافة عبد الملك بن مروان، يصف اهتمام خالد بن الوليد لبصرى - في طريقه من العراق إلى سورية لجدة لقواد المسلمين فيها - وصفاً لم نجد له أصلاً في كتب العرب، وكتاب (أوكني) هذا قد طبع للمرة الأولى سنة (١٧٠٨) وكانت آخر طباعته سنة ١٨٤٨، لم نقل غير المؤلف على أن ليس لديها نسخة منه ؟

ويؤيد كوسين دي وسفال رواية أوكني، فينا السر ميور الكتاب الانكليزي ينكرهما جاتا

يحشدون الجيش الكبير الذي سجد العرب في اليومك

.....

ولقد عثر العالم الانكليزي رايت على صفحة من كتاب باللغة السريانية عن موقعة اليومك، توفي إلى حل رومها، بمساعدة المستشرق الألماني الأستاذ نولكه، وقد ثبت اليوم بعد بحث الصحيفة المذكورة ودرسها، أنها ورقة من كتاب عرض اقتوح العرب في سوريا، والكتاب مفقود، ومن مراجعة محتويات الصفحة للوجود يرى القاري أنها من اللاحية بالسكان الاربع، خصوصاً وأنها تؤيد بعض ما ذهب إليه مؤرخو العرب في كتب التاريخ والاحبار

وهذا نص الكتابة السريانية للوجود على الصفحة المذكورة:

٧-١٠٠ (سطر مبهمة)

٨-٠٠٠ وعقدت المعاهدة في القانون الثاني واتخذت حياتنا

٩-٠٠٠ خمس وقرى كثيرة خربت وقتل سكانها

١٠-٠٠٠ محمد، وكثرت القتل والبلايا

١١-٠٠٠ عن الجليل إلى بيت

١٢-وأما العرب فانتشروا في جهات (دمشق ؟)

١٣-فظهرت في كل مكان

١٤-وحياءوا، و...و...اليهم، وفي





وقيام كل قائد على فرقته ، وما كان من نزول خالد يعرض جند العراق مدداً للقواد المسلمين في الشام ، وأدى من حسن السياسة توحيد القيادة ، فكتب إلى أبي عبيدة بتوليته قيادة الجيش الإسلامي كله بإخيه جند خالد أيضاً

وتقد أخذ قواد المسلمين بعد معركة اليرموك ، وبعدما شاهدوه من اضطرابهم إلى مفارقة البلاد التي انتصروها أول الأمر ، لما علموا باستعداد الروم لخارجتهم وتجهيز الجيوش لصددهم ، ينظمون المدن التي استولوا عليها ، وتشعلت عائلات عربية كثيرة إلى السكنى فيها تعزز بوجودها حكم العرب ، وتجعلهم قوياً متيناً ثباتاً

وأما جيوش هرقل فلما انسحبت إلى دمشق بعد المعركة وحل بها عن عمل ثيودورس في القيادة العامة للجيش الروماني ، وقد جرب العدو قبل انسحابه أن يتخذ ما وراء مستنقعات بيسان مركزاً ، ولكنهم عبروا نهر الأردن عندما هاجمهم العرب وسمدوا لهم سبيل (خل) من أعمال فلسطين ، وهو مكان منيع وله أهمية جغرافية يقع إلى الجنوب الشرقي من بحيرة طبرية

أما معركة خل فقد وقعت على الأرجح بين بعض فرق الجيش العربي والروم ، ولم يحضرها أبو عبيدة قائد الجيش العربي على الأرجح ، ويذهب (الواقدي) إلى أن شرحبيل بن حسنة هو الذي تولى إدارة الأعمال العسكرية فيها

وأما الطائري فيقول إن شرحبيل كان أمام أبواب دمشق ، مع القائد العام أبي عبيدة وخالد بن الوليد ، أنه لم يكن في خل ، وليس بهما اسم القائد ، الذي كان في فلسطين هذا العهد والقول أن القوة التي كانت معه ضئيلة قليلة ، وأنه تمكن بها من صد الروم واجلائهم ، وكان ذلك في ٢٨ ذي القعدة عام ١٣ للهجرة <sup>(١)</sup> وقد استسلمت مدينة خل للمسلمين بعد المعركة ، وتمكن العرب من الاستيلاء على بيسان كلها ، فوالقته من بقي من الروم نحو مرج الصفر ، فلما لم يتسكنوا من البث في وقت في أول المحرم عام ١٤ للهجرة انهمزوا إلى دمشق ، وأغلقت أبوابها ، وبعد أسبوعين ظهر المسلمون أمام حصون المدينة

(١) البلاذري ١: ١٠٤ ، الطبري ٢: ١٤٦ ، رمز كزارة دي غربي ٢٢

### حصار دمشق

كانت دمشق في إبان الفتح العربي الإسلامي مدينة مشهورة ولكنها كانت أقل اتساعاً وجمالاً منها اليوم ، ويمكن تقدير مساحتها بالنظر إلى آثار الأسوار الصامتة التي لا تزال بقاياها ظاهرة حتى اليوم ، وكان على هذه الأسوار في الماضي عشرون قديماً ، وعكها خمسة عشر ، ويقع الناطق بينها على حجارة ضخمة جداً يكاد يعجز العصب من الرجال عن تحريكها ، والأسوار مبنية بالحجارة المربعة ، ويرجع أساس بعضها إلى ما قبل العصر الروماني ، ويظهر هذا بلاحظة الحجارة وهشيتها وكيفية بنائها معاً دون ما استعانوا بالعزل <sup>(١)</sup> وتقد أدخل الامبراطور ديو كلشيان الروماني على دمشق كثيراً من الإصلاحات في حصونها ووسائل الدفاع فيها ، ولقد كان يري من ذلك إلى أن يجعلها حصناً رومانياً لحذود الامبراطورية الشرقية ثرد عن بلاد غزوات الفرس وغير الفرس ، وكانت لموار المدينة عند الهجوم العربي عالية رفيعة جداً ، وكانت الثغرات

(١) جون كوتجر ١٤١

كثيرة فيها ، وقد اتخذت مسكناً للرماة بالنهام والمقاتل الذين كان من واجبهم من العدو وصد عن تسلل أسوارهم والوصول إلى المدينة

وكان يحيط بالسور خندق مليء بياه يردى يتراوح عرضه بين عشرة وألحسة عشر قدماً ، وكان فوق أبواب المدينة وفي نقط أخرى من السور بعض أبنية صغيرة ويوت بأوي إليها من كان موكولاً به حراسة المدينة ، وأسوارها من الجند وغير الجند . أما مداخل دمشق فقد اختلفت في عددها ، ولكن الثابت أن عدداً من المداخل كان يستعمل للمواصلات بين المدينة وما دونها ، وأن هذه المداخل كانت تنهي بأبولب ثقيلة مصفحة بالحديد ومزدوجة الانطواء لكي تقف في وجه العدو ما فكر بالتحصنها ، أو حلول التسلل إليها

ومن الثابت اليوم أن عدداً من هذه الأبواب كان موجوداً وبمالة حسنة عند مجاورة العرب لدمشق ، فقد كانت البوابة التي إلى الجانب الشمالي من المدينة والتي تدعى الآن باب القرايس مبنية كلها بالحجارة ، وليست ذات قنطرة ، وإنما مغطاة بحجارة مستطيلة وهذا النوع من البناء يرجع عهده إلى العصور القديمة <sup>(١)</sup>

(١) السريور ١٤٣



وفي الباب الشرقي من المدينة باب يقال له باب توما<sup>(١)</sup> والاسم يشير الى توما صهر الملك هرقل الذي كان حاكم المدينة ساعة الحصار ولا يبعد ان يكون العرب قد اطلقوا هذا الاسم على الباب بعد ذلك . . .

واما في القسم الغربي من السور فكانت توجد بوابة في المحل الذي يدعونه الآن باب الحايمة ، اما داخل المدينة فكان ملائماً لمظهرها الخارجي على قول فون كيرير ، وكان الحرب المستقيم ام شارع في دمشق ، وكان يصل غربي دمشق بشرقيها ، فيمتد من الباب الشرقي مسافة ربع ميل الى الباب الغربي او باب الحايمة ، اما عرضه فكان خمسة عشر قدماً . . .

وصل الجيش العربي امام اسوار دمشق في اليوم السادس عشر من شهر محرم سنة اربع عشرة للهجرة ، ولما ابصر المدمشون طلائع الجيش نفروا من القوطة وحول دمشق الى داخل المدينة واقفلوا ابوابها عليهم ، ولما القوطة وكثافتها ، فان المسلمين اكتسحوها عنوة ، ثم توجه كل قائد منهم فاخذ مكانه قبالة احد ابواب المدينة .<sup>(٢)</sup>

(١) هارن ٩٠٣

(٢) البلاذري ١٢٠

فقال ابو عبيدة عامر بن الجراح قائد الجيش العربي عند الباب الغربي المسمى باب الحايمة ، ومضى خالد بن الوليد الى الباب الشرقي وكان بالقرب من دير يسمى دير صليبا<sup>(١)</sup> فذبح بعد ذلك بدير خالده وتزل شرحبيل بن حسنة عند باب الفراديس ، وراح يزيد بن معاوية يحتل الاراضي الواقعة ما بين الباب الصغير وباب كيسان في الجنوب اما عمر بن العاص فيقول بعضهم انه كان في فلسطين<sup>(٢)</sup> ويذهب غيرهم انه اخذ مكانه قرب باب توما في شمالي شرقي المدينة

ولكن المؤرخين خصوصاً للمستشرقين منهم يختلفون كل الاختلاف في تفسيرات الفرق ومواطن نزول قوارها ، حتى ليذهب كيتالي العالم الايطالي الشهير بالاسلاميات الى ان ابا عبيدة لم يكن في سورية في هذه الفترة من الزمن<sup>(٣)</sup> وليس هنا مكان تقدم ما يذهب اليه بعض المؤرخين ويختلفون فيه ، لانا نتخذ ان ما روينا يكاد يتعقد الاجماع على صحته

واخذ العرب بمحاصرة المدينة ، فيعرض الاستاذ بكر لهذا الحصار قائلاً : لم يكن في وسع العرب محاصرة مدينة كدمشق ، لانهم

(١) البلاذري ١٢١ ، والسيرور ١٤٦ ، وان كان هناك من المؤرخين من يقول بغير هذه الزيادة ولكنها الاصح

(٢) ولكننا نجد في دمشق في ربيع الثاني عام ١٥ للهجرة كشاهد على تجديد المعاهدة

(٣) تاريخ القرون الوسطى ٣٤٤ ، مرتين في ادارة المعارف الاسلامية ٩٠٤

كانوا يحاصرون من الحصار ولم يكونوا على استعداد له ، واستحضر الاسباب التي يحتاج اليها مثل هذا الحصار الصعب العنيف<sup>(١)</sup> ويصبح لامنس العلم اليسوعي قائلاً : ليس ما فعله العرب غير حصار بسيط ، لانه كان ينقضهم كل شيء حتى السلام لتسليق الاسوار<sup>(٢)</sup> ، ولكن يامن القائد العربي شرا لم يحدث على جيشه من الجهة الشمالية ارسل ايا الفرادة عامر بن عويمر الخزرجي في جماعة الى جهة برزة<sup>(٣)</sup> وفي نقطة في طريق بعلبك ، وبمقتضى ذلك الكلاع الحربي ليكون رداء للمسلمين بين دمشق وحمص ، وانفذ علقمة بن حكيم ومسروق العيمي فكانا رداء بين دمشق وفلسطين<sup>(٤)</sup>

من كان حاكم دمشق في زمن الحصار ؟ هذا سؤال يختلف فيه المؤرخون اختلافاً عظيماً ، فالطبري يقول ان اسمه (باهان) وسيف بن عمرو يسميه اسطاس وابن الاثير اسطاس ، ويقول ابن خلدون<sup>(٥)</sup> انه منصور بن سرجون ، ويقول لامنس<sup>(٦)</sup> في ارب

(١) كززل يكرر في الفصل الخامس يتوسع العرب في تاريخ القرون الوسطى طبع جامعة كبرج من ٣٤٢

(٢) تاريخ سورية : للاب لامنس ج ١ ص ٥٥

(٣) فتح البلدان ص ١٢٧

(٤) الطبري ٢١٥١

(٥) الجزء الثاني ص ٢٢١

(٦) تاريخ سورية ص ٥٦

سرجون انه كان من اوجه وجهاء دمشق ومدير الشؤون المالية في عهد البيزنطيين ، ويعرض الاستاذ دي غوي<sup>(١)</sup> الى هذه المسألة فيقول : « لم يكن منصور بن سرجون على اتفاق مع هرقل ، بعد ما كلفه هذا دفع مبلغ مائة الف دينار ليقبى حاكماً ، فلما تراجع البيزنطيون تحت قيادة باهان الى دمشق اتخذوها قاعدة لحرب المسلمين ، وقف منصور من الجيش موقفاً قريباً فلم يقدم له المؤمن والنفائز اللازمة اماًلاً بالتخلص منه ، وتسليم المدينة الى المسلمين » وليس بعد ان تكون هذه الحقائق صحيحة ، خصوصاً ونحن نعرف اليوم ان الوطنيين السوريين من النصارى العرب لم يكونوا راضين عن سياسة البيزنطة التي استغذت لمواهم ، وارهقهم بالضرائب ، واشتدت في السيف عليهم ما اختلقوا ويزالطة كنيسة ومقوساً

لما الوطنيون في دمشق فوقفوا من فتوح العرب اول الامر موقفاً هو اقرب الى عدم الاعتراف منه الى شيء آخر ، وكان اكبر ظنهم انها سخاية وتبلي ، وان العرب عائدون الى جزيرتهم بعد قليل من السبي والقتال<sup>(٢)</sup>

ومن المؤكد ان هرقلاً وقواده كانوا يظنون مثل ذلك ، خصوصاً وقد كان افراد الجيش العربي يضطربون بسلاح غريب

(١) مذكرة دي غوي ٨٨ - ٨٩

(٢) السيرور في كتابه عن الخلفاء الاوائل ص ١٤٦

لا نظام فيه ولا ترتيب ، فهذا يسهم وذلك يرمح ، وأخر سيف ،  
ما حمل الأمير طور على الثقل بأن الحصار سيكون موقتاً حتّى <sup>(١)</sup>  
ولكن لما ان الأسلحة البيزنطية ، وانتظام الصفوف وحسن  
اللباس وكثرة العدد - وهو ما كان ينعم به البيزنطيون - لم يكن من  
الأمور التي تجعل النصر أمراً محتوماً ، إذا لم يكن الجيش مضطرب  
في روح فياضه ، وتضعية طاعره ، وجرأة قوته ، وإيمان بالكل العليا  
واخلاص في ما نذر نفسه لأقاربه وإنفاذه .

ولقد طلب أهل دمشق معونة قيصر فارس ليهزم هرقل بعض  
الفرسان ، فردها ذو الكلاع الحيري برجاله واشغله عن المسلمين <sup>(٢)</sup>  
وكان مقبلاً بين حصص ودمشق رداً لجيش المسلمين حتى لا يؤخذ  
من خلفه ، وأتى الصيف والعرب لا يزالون يشددون الحصار على  
دمشق ، وقد مضى الشتاء وأقبل الصيف ، وليس ما يدل على أن  
العرب سيمددون إلى جزيهم ، وعندئذ أخذ أهل دمشق يفكرون  
بالاستسلام ، وإن كان المسلمون حتى الآن لم يوفقوا إلى خرق  
الأسوار لماعتها وقوتها .

وهناك مصادر فرنجية <sup>(٣)</sup> تتحدث عن هجمات بيزنطية على

(١) سيدو تاريخ العرب ص ١٠٦

(٢) الطبري ٢١٤٢ روالسبيور ص ١٤٦

(٣) مذكورة دي غولي ٨٢ ، الاستاذ بكر ٣٣٣

الجيش العربي وهو خارج دمشق ، ولكن مؤرخي العربي لا  
يعرضون لما ولا يذكرونها

ويختلف المؤرخون في كيفية دخول العرب إلى دمشق ،  
وأكثر مؤرخي العرب على أن الجيش الإسلامي دخل دمشق من  
بابين في وقت واحد ، فدخل الباب الأول عنوة والثاني صلحاً ،  
ويذهب أكثرهم إلى القول بأن خالداً هو الذي دخلها عنوة من  
الباب الشرقي ، وإن أبا عبيدة دخلها صلحاً من باب الجابية ، وأنهما  
التقا في وسط المدينة ، وبعد أخذ ورد أجروها بحرى الصلح  
ويذهب المستشرقون إلى القول بأن جليلة دمشق غادرها لما  
اشتد حصار العرب لدمشق ، فقرر سكانها التسليم ، ويختلف  
المستشرقون فيقول بعضهم ، إن سقوط دمشق كانت بخيانة أسقفها  
وجايلي شرائها ، ويذهب آخرون إلى أن سكانها فتحوا مدينتهم  
لجيش العربي ، بعد أن حصلوا من قواده على شروط حسنة شريفة  
وإن الأسقف ومنصور بن سرجون كان وسيطاً أهل دمشق سيف  
قضية الصلح .

أما كيف فتح دمشق فإن الرواية في ذلك مختلفة كل  
الاختلاف في مؤلفات مؤرخي العرب ، ومؤلفات الفرغية ، وهو  
اختلاف لا أهمية له ، لأن الإجماع يكاد ينعقد على أن دمشق  
فتح صلحاً لا حرباً ، ولا بعدد أن يكون خالد قد

دخلها عنوة - وهذا معروف عنه لشدة وعزم صبر وجرائته ، وجده  
للحرب ورغبته في القضاء على الخصم الذي يقف في سبيله ما كان  
إلى ذلك سبيل - ومضى إليها أبو عبيدة صلحاً وغلبة خالد  
الصكرية ، فجعلنا نستعيد وقوفه هادئاً ساكناً أمام أسوار المدينة  
مدة قصيرة أو طويلة ، وليس يبعد أن يكون قد راح يبحث في  
هذه الفترة خطة تمكنه من اقتحامها ، فلما وفق إليها اقتحم دمشق  
والنقض بجيشه على سكانها .

.....

ويذكر الطبري فيما يذكره من أخبار فتح دمشق ، أنه  
ولد للبطريرك الذي على أهل دمشق مولود ، فصنع طعماً فاكله القوم  
وشربوا ، وغفلوا عن موقفهم ، ولا يشعر بذلك أحد من المسلمين ،  
إلا ما كان من خالد الذي أخبرته عيونه بالشغال القوم ، فاقترن  
الفرصة واتخذ حلاً كهيئة السلام ، فلما أمسى اليوم تهد من ممة  
وتقدمهم هو والقنقاع بن عمرو وغيره وسار بهم إلى الأسوار ،  
وكانت الخربة قد لعبت بروم حراسها لعباً بغواد الحامية فاختار  
مساكناً عبر به الشندق المملوء ماء بادوات جاء بها ، ثم رموا بسلام  
أعدوها من قبل إلى إحدى الشرفات البارزة من السور فوسلوا عليها  
الواحد بعد الآخر ، والوقت سحر والروم نيام ، فوقف بعضهم  
للمراقبة والتجسس الآخرون إلى الباب الداخلي ففتحوه ، فدخل الجند

المربط خارجاً وهلا التكبير ، واندمع المسلمون إلى داخلها وذهروا  
الروم والمضطربوا وفر رجال الحامية لا يلبسون على شيء ، وكان خالد  
يتقدم من الباب الشرقي ، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة  
وبذلوا له الصلح ، فقبل به ، وفتحوا له الأبواب ، فاجتمع بجالد  
في وسط المدينة ، فاجروا ناحية خالد بحرى الصلح أيضاً .

والواقع أن هذه الرواية التي ينقلها الطبري عن سيف بن عمرو  
تحتاج إلى كثير من رحابة الصدر لتصبح سائفة تقتل العقل والمنطق ،  
فإن اسراع الحامية إلى أبي عبيدة لعقد الصلح والقبول بتسليم المدينة  
بعد اقتحام خالد لها أقرب إلى الخيال منه إلى الأمر الواقع ، إذ كيف  
فكر القوم بذلك وبمثل هذه السرعة وفي هذه الفترة القصيرة ؟ ولم  
لم يتحدثوا إلى خالد بهذا الصلح وهو الذي اقتحم المدينة ؟ وكيف  
لم يعلم أبو عبيدة بدخول خالد للمدينة ، ويرضى بعقد الصلح دون  
ما علم منه بما يقوم به أحد قواده في الطرف الآخر ؟ وهل يعقل أن  
يقتحم خالد دمشق ، ولا يبعث إلى أبي عبيدة بالخبر ؟

وهناك من المؤرخين من يقول بتوقيع معاهدين سيف وقت  
واحدة ، الأول صار توقيعاً مع خالد والثانية مع أبي عبيدة وخالد  
ليس قائد جيش المسلمين فكيف يقوم بمهادنة من واجبه أن  
يعرضها على رئيسه أولاً ؟؟

هذه سوالات تجعل ما نقله ابن المؤرخون العرب عن فتح



دمشق يحتاج الى كثير من التدقيق والبحث...  
ومن الغريب ان رواية الواقدي<sup>(١)</sup> تختلف عن ما تقدم، وتختلف كذلك رواية البلاذري<sup>(٢)</sup> عن الروايتين السابقتين  
وكما اختلف العرب اختلف المستشرقون في كيفية الفتح، فذهب السرميور<sup>(٣)</sup> برواية الطبري، وراح المستشرقون الالمانى هرمن يعارضه، ونحن نرجع ان المسلمين دخلوا دمشق مسلحين لا دعوة ولا فتحا، وكتاب الصلح نفسه يؤيد ذلك  
ولقد صولح اهل دمشق وفقاً لرواية البلاذري على انصاف منازلهم وكنائسهم، ويقول سيف بن عمرو وهو الذي ينقل عنه الطبري، ويؤيده المستشرق الانكليزي السرميور:  
«ان صلح دمشق كان على القمامة (الديار والعقار) بحيث اقروا المسيحيون ان يعطوا نصف اموالهم وارضيتهم الى المسلمين»  
ويزيد سميور على ذلك نصف الابنية الحصوية والمعمورة بم نصف الكنائس ونصف كاتدرائية القديس يوحنا»  
ويقول الواقدي «انه لم يبر في كتاب الصلح انصاف المنازل والكنائس» ثم يقول «ان دمشق لما خضعت لحق كثير من هلبا

(١) الواقدي فتح الشام ص ٦٣ - ٧٣  
(٢) فتح البلدان ص ١٢١

يرقل، وهو بالطائفة، غلبت بذلك كثير من المنازل، فزها المسلمون» وأكثر المؤرخين على هذا الرأي  
ومن المؤكد اليوم ان الجزية هو الشرط الوحيد الذي اشترطه المسلمون على سكان دمشق وفقاً لأكثر المؤرخين، ولكنهم اختلفوا في تعيين النكية المطلوبة، فقال سيف بن عمرو<sup>(١)</sup> انها كانت ديناراً عن كل رأس، ويوافقه البلاذري على ذلك<sup>(٢)</sup> ولكنه يقول في رواية ثانية ان الجزية كانت تطالب من كل شخص جرت عليه الموسى، ومعنى ذلك اغناء الصغار منها، ثم عطا امير المؤمنين عمر بن الخطاب بجعل الجزية وفقاً لقدرة الشخص المالية...  
اما فتح دمشق فكان سنة ١٤ للهجرة ودام الحصار ستة اشهر وفقاً لرأي ابن خلدون<sup>(٣)</sup> ويذهب غيره الى انه لم يعط اكثر من سبعين يوماً، ودخلها المسلمون في شهر رجب (آب - البول) سنة ٦٣ وفقاً لرأي اكثر المؤرخين

(١) الطبري ٢١٠٤  
(٢) البلاذري ١٢٤ - ١٢٥  
(٣) من معجم الى رجب سنة ١٤ للهجرة

## الفتوحات في سورية وفلسطين

يذهب بعض المستشرقين الى القول بان دمشق خضعت مرتين وان العرب بعد احتلالهم لها للمرة الاولى، اخلوها لما علموا بان هرقلا يجمع لهم جيشاً عظيماً قريباً، ويؤيد هذه الرواية بعض مؤرخي العرب كالبلاذري مثلاً<sup>(١)</sup>  
وكان الجيش الروماني الجديد بقيادة قتيبة وسبوس سكلاريوس وقد اخذ يتقدم الى جنوبي بحيرة الحولة، وكان يرمي قاتله من خطته هذه ان يقطع كل اتصال بين العرب في دمشق، وبين مراكزهم الرئيسية في الجزيرة العربية، واما عدده فقد اختلف للمؤرخون في تقديره، واكثر الظن انه لم يكن يزيد عن مائة الف مقاتل جلبهم من الجنود المستأجرة المختلفة المشارب والعادات والتقاليد وانتظر هرقلا انتفاضة فصل الشتاء، وفي ربيع الثاني من عام ١٥ للهجرة اخذ يتقدم بجيشه، وأحس خالد بالخطر فصح فواد المسلمين باخلاء القمم الشامي من سوريا كله حتى دمشق نفسها، فعملوا

(١) البلاذري: فتح البلدان ص ١٢٣

ولقد دعوا بجيشهم نحو الجنوب، وقد حزن المسيحيون لفراق العرب لهم لما اظهروه من تسامح وعدل وقسط وحسن معاملة وانصاف<sup>(٢)</sup>

ويصف المستشرقون اجتماع العرب والروم سيفاً البرموك، لانهم يعتقدون ان المعركة الاولى التي سبقت فتح دمشق في معركة اجنادين واما معركة البرموك حقاً فقد وقعت في سنة ١٥ للهجرة - وهذا الاختلاف يبعثنا نقف حائرين، وهو ما يبعثنا على الظن وفقاً لما ذهب اليه بعض مؤرخي الفرنجة، من ان العرب قاتلوا الروم مرتين في اجنادين، وان المعركة الاولى كانت بسيطة، ثم تلتها معركة البرموك، ففتح دمشق، فمعركة اجنادين كزة ثانية، ونظن ان هذا الرأي هو الأرجح والاصح.

وتعاقبل معركة اجنادين الثانية مدومة تقريباً، ولكن للمؤرخين يوم كدوا فيها وقت في فلسطين وفي مكان قريب من البرموك كما يظهر، ولما تأريخ المعركة ففي شهر رجب عام ١٥ للهجرة، ولما بلغ هرقلا انكسار جيشه في اجنادين هرب الى

(١) ابو حفص الدمشقي والتبري في البلاذري - مذكرة دي غوري ص ١٠٥ - ويقال ان المسلمين ارجعوا الجزية الى النصارى الذين غلبوا لذلك ووعدهم بالمساعدة - كتاب الحراج لابي يوسف ص ١٠٤

انطاكية ومنها الى انطاكية وبعاد السلون بعد ذلك فاسترجعوا  
المدن التي تخلو عنها وغادروها . . .

ويذكر مؤرخو العرب بعد اقتحام العرب لدمشق ، انهم بعد  
ان انتهوا منها ، ووفقاً لامر الفاروق ذهبوا الى فلسطين وكان للروم  
فيها جيش كبير قدره بعضهم بمائتين ألفاً<sup>(١)</sup> ، ويزيد الطبري  
فيقول ان ابا عبيدة ترك يزيد بن ابي سفيان على دمشق ، وسار  
يريد (خل) وهي من قرى اريد في لواء حمص من اعمال شرقي  
الاردن الحاضرة

وكان للروم في فلسطين اربع مراكز عسكرية ، لحصنها  
وتحصينها ، واكملوا تجهيزها بالجند والمقاتلة ، وهي : فعل ، واجنادين  
وقيسارية ، وبيت المقدس

ويختلف المؤرخون اختلافاً عظيماً في تاريخ معركة فعل  
بجعلها بعضهم بعد معركة اليرموك في سنة ١٢ للهجرة ، وذهب  
غيرهم الى انها كانت بعد ذلك ، ويقول آخرون ان الجيش العربي  
لم يكن كله في فعل ، ولما كان فيها بعض فرق منه ، وان هذه  
الفرق لاقى عنها عظيماً ، ثم وقعت الى اقتحام مدينة فعل  
بعد حصار

(١) الطبري ج ٤ ص ٥٧

ولما انتهى المسلمون من امر خل قرى ابو عبيدة التميمي الى  
حمص ، فأرسل هرقل الى العرب جيشاً رومياً يشغلهم عنها ، كما أرسل  
جيشاً آخر لاقتحام دمشق بعد ان خلت من الحامية العربية  
والتي للجيش ووفقاً لما يقوله مؤرخو العرب بجيش للمسلمين  
في مرج الروم غربي دمشق ، قتل ابو عبيدة بازاء الاول ، ووقف  
خاله قدام الثاني ، ولكن هذا الاخير اختتم النيل فشى الى دمشق ،  
وعرف ابو عبيدة بغرضه فامر خاله ان يلحق به

وكان يزيد بن ابي سفيان عاملاً لابي عبيدة على دمشق ، فلما  
علم باقتراب الروم اليه خرج لقتالهم ، ولم يشعر الروم بخاله ومن معه  
الا وقد آتوهم من ورائهم ، فاختدوا من بين ايديهم ومن خلفهم ، فلم  
ينج منهم الا الشريد ، ونازل ابو عبيدة قائد الجيش الاول تيودور  
قتله وهزم جيشه واتيهم المسلمون بأسروا وبقتلوا حتى وصلت  
فلول الروم الى حمص

ولقد شق ابو عبيدة الى حمص عن طريق بعلبك ، فوجد خاله  
نحو البقاع فاحتله واستولى عليه ، ونزل اهل بعلبك الى ابي عبيدة  
فصلطوه على ان يكون لهم الامان على انفسهم ولعولهم ، وكان منهم  
وكب لهم بذلك كتاباً ، ثم توجه الى حمص فقاتل اهلها قتالاً  
شديداً ، وكانت فيها بعض فرق من الجيش الرومي فصمدت  
للمسلمين تردم وثقاتهم ثم تمصص وراء حصون المدينة واسوارها ،

وكان الفصل شديداً يارداً اصاب المسلمين منه عنا ونكر كثيرين  
وثبت المسلمون لا يتفككون عن التضييق على حمص وسكانها  
ورجال المقاتلة فيها ، حتى يش اهلها ، فطلبوا الامان والصلح ،  
فصلطهم ابو عبيدة على صلح اهل دمشق ، وكتب الى هرقل  
الفتح وبعث اليه بنفس الفاتح ، فرد عليه الفاروق بسأله البقاء في  
حمص ريثما يرتب اموره ، وينظم رجاله ، وان يدعو اهل التجدد  
من عرب دمشق اليه ، ووعد ان لا يترك البعث اليه وانه سيمنه  
بالرجال ليستطيع الوقوف في وجه الروم بعد ان اصبحت قريباً من  
مواعينهم . . .

فأقام ابو عبيدة في حمص ووفقاً لامر الفاروق ، وبعث خاله  
الى حاضره حلب ) وكان يزل بعض اصناف العرب ومعهم جمع  
من الروم فزالهم خاله وقتل فيهم ، وقتل قائدهم

اما عرب الحاضر فاعتدوا الى خاله بانهم حشروا كرهاً في  
هذه الحرب ، فقتل عندهم وكان رضىاً محباً معهم ، وهذا على غير  
عادته مع كل من يقف سيفه وجه الزحف العربي ، ولعله ادرك  
سياسة الفاروق وما يري اليه من تألف العرب ليتقبلوا الاسلام ،  
فتكثر عصية المسلمين ويزداد عددهم ، وتعاظم شوكتهم .

ثم سار خاله حتى نزل على (فسرين) فتحصن اهلها منه فقال لهم :  
« لو كنتم في السحاب لحلفنا الله اليكم ان لا نترككم البتة » ، فنظر

القوم في امرهم وعلموا انهم ليسوا باقوى من اهل الامصار قبلهم ،  
فصلطوه على صلح اهل حمص ، ثم مشى خاله الى مرش ففتحها  
واحل اهلها واخربها ، وفتح حصن الحث<sup>(٢)</sup> ، ثم فتحت حلب  
ويش هرقل من سورية فقادها وقد ايقن انه لن يستطيع اليها عودة  
بعد يومه هذا

وبلغ الفاروق فافتتح الله على خاله في شمالي سوريا ، وعمر صريح  
فقال كلمته المشهورة « امر خاله نفسه ، يرحم الله ابا بكر هو كان  
اعلم بالرجال مني »<sup>(٣)</sup>

واقتحام الجيش العربي الاسلامي لحمص وحماة وفسرين  
وحلب - وقد تمت هذه الفتوحات في سنة ١٧ للهجرة - ذات  
لعرب قواعد الشمال الكبرى ، وصار في استطاعتهم ان يصلوا  
بجيشهم في جنوبي العراق من هذا الوجه

....

وعندئذ انتهت انتظار القواد ، بعد ما اتوا استضعاف المدن  
الداخلية الواقعة بين دمشق وحلب ، وفي دوما والقطيفة والبيك  
وحمص وحماة ومعرة النعمان الى فتح ساحل الشام وبعد من خليج  
الاسكندرونة شمالاً حتى مينا صور جنوباً اي حتى حدود منطقة

(١) تاريخ ابو الفداء ج ١ ص ١٦٠

(٢) الطبري ج ٤ ص ١٥٥ ، ابن الاثير ج ٣ ص ٣٤٤



فلسطين الحاضرة ، ويشمل ثلثي اللاذقية وطرابلس وبيروت وصيدا  
وصور

وقد سلك ابو عبيدة الطريق الرومي القديم الممتد بين حلب  
واللاذقية قصد معرة مصرين ففتحها وهي على عشر كيلومترات  
من شمالي مدينة ادلب ، كما فتح سرمين وهي قرية صغيرة من أعمال  
حلب ، وواصل تقدمه حتى (بوغا) شرقي مدينة اللاذقية ثم احتل  
جبله ورايس والخراب وطرطوس وهي في جنوبي اللاذقية بينها وبين  
طرابلس الشام

وبينا كان ابو عبيدة وخالفه يميلان في الشمال ، كانت يزيد  
ابن ابي سفيان قائد حامية دمشق ، يعمل في الساحل اللبناني  
تجهز قوة من رجاله زحف بها الى بيروت فافتتحها ثم سار الى الجنوب  
سائلا طريق الساحل حتى بلغ صيدا فاستولى عليها ، وانصل  
بقوات العرب بصور ، ومنها عاد الى بيروت فالتحق نحو الشمال سائلا  
طريق الساحل ينتحما ما فيه من مدن وقرى حتى وصل الى (عرة)  
وهي شمالي طرابلس الشام وتبعد عنها عشرين كيلومترا ، وكانت  
مدينة عامرة زاهرة في هذا العهد ، وفتح (عرة) انصل الجيش  
العربي القادم من هذه الناحية بالقوات التي كانت تعمل في الشمال  
فدنا ساحل سورية كله من اللاذقية شمالا حتى بيسارية جنوبا للعرب  
المسلمين ١١

ولم تثنِ الأعمال العسكرية في هذه المنطقة الا بعد احتلال  
العرب لكلبكية ، حيث بعث اليها ابو عبيدة جيشا ، بقيادة  
ميسرة بن مسروق العبسي سارت من حلب بطريق نهر الساجور  
(شرقي شمالي حلب بين مع وجرابلس) وتبعد عن حلب نحو تسعين  
كيلومترا ، حتى عمورية او للمورة كما يسمونها اليوم ، فقاتلت  
الروم وانتصرت عليهم ، ولم تطل المكث فيها ، بل عادت الى  
مقرها فتوقفت أعمال الفتح في هذه المنطقة ، واستولفت بعد فتح  
فلسطين ، حين هاجم هاشم بن عتبة كلبكية سنة ٦١ للهجرة  
ففتحها واخضعها صلحا ، وقد يكون غرض الزحف الاول تخويف  
الروم وتهديدهم ، ومنهم من العودة الى سورية ، والتفكير بإرسال  
جيش جديد اليها

....

ويذهب المؤرخون الى ان هرقل عاد في السنة السابعة عشرة  
الهجرة فارسل جيشا عظيما من اورفا (ادرها) وسيه نحو حمص  
بطريق البادية لمصادمة العرب ومحاربتهم  
وعلم قواد العرب بغير هذا الجيش تأهبوا لمقاومته وارسل  
ابو عبيدة الى الفاروق بالامر ، فكتب الى سعد بن ابي  
وقاص بان يمدم بفرقة من عتده ، فامددهم بالقمع المشهور ، وجاء  
خاله من قيسرين ، وجاءت قوات من دمشق والمناطق الاخرى ،

فبرز بها ابو عبيدة الى خارج اسوار حمص ، واقام ينتظر الروم فيها ،  
بعد ما غاب جيشه تعبة عسكرية ، فلما اقبلوا عليه قاتلهم قتالا شديدا  
فهمهم ، وبذلك تم افتتاح مدن الجزيرة كلها وانصل الشام بالعراق  
والبحر ، وتوحدت هذه الاقطار الثلاثة مع الجزيرة تحسنت راية  
الاسلام ، واصبحت حدود الدولة الاسلامية تمتد من المدينة حتى  
جنوب جبال طوروس شمالا وارمنية شرقا



### الفتوح في فلسطين

نعرض الان لفتوح العرب في فلسطين فنقول ان عمرو بن  
العاص كان يلي امر هذا الفتح ، وكان الصديق رضي الله عنه قد  
اوفده الى فلسطين يوم لوقد القواد الثلاثة الآخرين لاقحام باقي  
الامصار السورية ، فلما انتهى العرب من معركة اليرموك عاد عمرو  
ابن العاص الى فلسطين يناجز من فيها من الروم ، ويصعد لمهذوبا كرم  
ويحاثهم ليعلمهم عن اعداد من في سورية من قوى الروم ، فلما انتهى  
المسلمون من فتح دمشق وانتهوا من معركة خل ومزقوا من فيها من  
الروم ، تولى عمرو بن العاص قيادة الجيش العربي في منطقة فلسطين  
والاردن لجبرته ، ولما سبق من تولية الصديق له لاقحام هذه  
المنطقة ، فعمل فيها خلال الرحلة الاولى من الفتوحات العريضة  
بمساعده ويشد ازره شرحبيل بن حسنة ، قائد منطقة البلقاء او شرقي  
الاردن ، لما قوة المسلمين فلا نظها كانت تزيد على بضعة  
عشر الفا ، لان القسم الاكبر من الجيش اتجه الى الشمال حيث  
كانت الروم قوت كبيرة ، والذي لا شك فيه ان القوى الرومية  
كانت عظيمة وكثيرة ، وكانت منتشرة في اطراف سورية وفلسطين

من اقصاصها الى اقصاصها ، وقد اصاب بعضا في اليرموك اصابة عظيمة  
ولكن ما بقي منها كان لا يزال قويا كثيرا .

ولقد انتشرت سرايا المسلمين بعد فتح خل في المناطق المحاذرة  
فتحت عسكرا على الساحل وبذلك انقطع الاتصال من هذه الطريق  
بين قوى الروم العسكرية في فلسطين وحصنهم في الطائفة ، ولم  
يبق لهم سوى طريق البحر وكانوا ما يزالون يسيطرون عليه  
وفتح سرايا المسلمين ايضا قرى الاردن ومناطقه ، كانت  
نابلس وجنين واللد ويافا وبيت جبرين ومحموس ، واذا استئينا  
قيسارية ، واجنادين والقدس وعسقلان وهي المدن التي وقفت في وجه  
المسلمين ، فتكون فلسطين كلها ولا سيما القسم الساحلي قد خضع  
للمسلمين الذين اندفعوا بعد فتح يافا واللد الى كل قرى الساحل  
فاحتلوا غزة وغلزوا يتقدمون حتى رفع وفي آخر حدود فلسطين من  
جبة الجرب ، واول حدود مصر من الصحراء ، فانصلوا بالحجاز  
من هذه الناحية ولم يبق للروم في فلسطين غير الحصون الاربعة التي  
اشرفا اليها وهي اجنادين وقيسارية وبيت المقدس وعسقلان  
.....

وعندئذ تولى عمرو بن العاص محاصرة اجنادين ، وارسل قوة  
اخرى حاصرت بيت المقدس ، وذهبت قوة ثالثة بقيادة معاوية  
ابن ابي سفيان لمحاصرة قيسارية

ولقد اخذ عمرو بن العاص يشد في حصار اجنادين وكان  
عليها قائد بارع من قواد الروم يسمى ارطوبون ، جعل يخالف عمرا  
وياكره ويجاول التفريق بين جند المسلمين ، ولكنه لم يوفق ، ثم قتل  
الروم والمسلمون اجنادين قتالا شديدا ، وكثرت بينهم القتل والتهزم  
الروم وارطوبون على رأسهم حتى دخل بيت المقدس ، وكانت هناك  
قوة عربية حولها تحاصرها ، فتركت القوم يدخلون المدينة ، ويظهر  
ان عددهم كان كثيرا بحيث لم تستطع لهم ردا وقتلا ، وكان  
فتح اجنادين في السنة الخامسة عشرة للهجرة .

ولما انتهى عمرو بن امر اجنادين لم يعرض لبيت المقدس اولا  
واذا راح يتم فتح مدن فلسطين وقرى التي ذكرنا اسماها قبلا ،  
وهي غزة ورام الله ونابلس وبيت جبرين ويافا وغيرها ، فلما تم له  
فتحها قصد بيت المقدس والارطوبون تمنع بها ، واخذ يحاصرها .

وطال الحصار ، واشتد عمرو في التصديق على اهلها ، وساجرة  
من يخرج منهم الى خارجها ، حتى اعتمد القوم من الروم ومسكن  
القدس على التسليم ، ولكنهم اشترطوا ان يكون ذلك على بدال الحليفة  
نفسه ، وان يكون هو عاقده ، لتوينا بشأن القدس ومرتكها في  
الاسلام والضررانية ، فكتب عمرو بن العاص بذلك الى القاروق  
ودعا الى القدوم لتسلم المدينة ، فوافق القاروق على ذلك ، وغادر  
للمدينة في طريقه الى الشام ، وكتب الى امراء جيش الشام بان

يقابلوه في الجابية وهي من احوال حوران .

وكان اول من لقيه من قواده يزيد بن ابي سفيان ، وابو عبيدة  
ابن الجراح ، وخالفه بن الوليد على الحيول عليهم الدجاج والحريز ،  
فلما رأى عمر ذلك كبر عليه ان يرى القوم في زينة وزخرف ، وم  
قريبو عهد برسول الله ، وخاف عليهم ان يكونوا قد اقتنوا بالدين  
وزينتها وفاتهم على ذلك ، فاحتذروا اليه بان السلاح تحت ملابسهم  
هذه ، وانهم مضطرون الى مثل هذه الملابس لتزيين امرهم بين  
اهل البلاد ، فقبل القاروق عذرهم ، واقام في الجابية حتى جاءه وفد  
من بيت المقدس يعرضون عليه التسليم والصالح ، ويقولون ان اميري  
الجند الروماني قد لحقا بمصر ، فصالحهم القاروق وكتب لهم كتابا  
اعطاهم فيه الامان لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلواتهم ، وسقيما  
وبريتها ، وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتفض  
منها ولا من حيزها ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يسكن بيت  
القدس احد من اليهود ، وان عليهم ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل  
المدين ، وعليهم ان يخرجوا منها الروم والصوص فخرج منهم  
فانه آمن على نفسه وماله ، حتى يلقوا مأمنهم ومن اقام منهم فهو  
آمن ، وعليه مثل ما على سكان بيت المقدس من الجزية

ومن اراد من سكان بيت المقدس ان يخرج الى الروم ياله  
ونفسه فانه آمن على نفسه حتى يبلغ مأمنه ، وشهد على هذا العقد

خالفه عمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن ابي  
سفيان . . . وكتب وحضر سنة ١٥ للهجرة .

.....

ومضى القاروق من الجابية الى بيت المقدس بعد عقد الصالح  
في موكب تقمره البساطة ، ويعلمه الجلال ، وحوله قواده حتى  
نزل في مخيم الجيش العربي للرباط حولها ، وقام فيه حتى فرغ  
الروم من الجلاء عنها ، ثم دخلها بدون موكب فاستقبله البطريق  
وكبار رجاله ، وصعدوا معه الى كنيسة القيامة لبارتها ، فلما ادر كنه  
الصلاة صلى خارجها ، وقد شيد في المكان الذي صلى عليه القاروق  
جامع لا يزال حتى يومنا هذا يسمى بجامع عمر . . .

اما المسجد الاقصى فانه يقوم مكان هيكل سليمان وفقا لما ذهب  
اليه بعض المؤرخين . . .

وصالح القاروق وهو في الجابية مندوبي (الزملة) على الشروط  
التي صالح عليها مندوبي بيت المقدس<sup>(١)</sup> وتبقت قيسارية مع عسقلان  
في جنوبي فلسطين لقوامان ، فقام معاوية على حصار الاولى حتى

(١) قسم القاروق وهو في بيت المقدس لمسلمين الى ولايتين فبين طائفة  
ابن عمر على القسم الجنوبي وقاعدته القدس ، وجعل الرملة عاصمة القسم  
الشمالى وعين له طائفة بن حكيم .



تمكن من فتحها سنة ٢٢ للهجرة ، وفي سنة ٢٣ تحت مدينة عسقلان  
وكانت آخر مدينة استسلمت للعرب في فلسطين ، وانتهت بفتحها  
الحرب في هذا القطر ودان من انصاء الى انصاء للاسلام ...  
وليس يسعنا ان نختم هذا الفصل دون ان نشير الى الطاعون  
العظيم الذي حصل سنة ١٧ للهجرة ومنع امير المؤمنين من زيارة  
دمشق وامصارها

وما لا شك فيه ان سبب الطاعون هذه الجراثيم التي ملأت  
ادم هذه البلاد بعد المارك العظيمة التي جرت على ارضها وملأت  
وهاذا واغوارها ، ويغلب على الظن ان العرب لم يدفئوا جيش القتلى  
جميعهم ، ولعلهم اكتفوا بدفن جيش موتاهم ، فظلت موى  
الروم مسجاة على اديم الارض ، فتعفت ، وملأت الجو غصداً  
فكان من ذلك هذا الطاعون الجارف الذي قضى على نخبة من  
اعظم رجال الاسلام مقاتلاً وامصاراً سلاحاً ، وارفهم اخلاقاً ووطنية  
واخلاصاً ، كابي عبيدة قائد الجيش العربي ، ومعاذ بن جبل ،  
وزيد بن ابي سفيان ، ولم يرتفع الوفاء الا بعد امت ولهم عمرو  
ابن العاص ، ونصح الناس بالخروج الى الجبال هرباً منه ، ففرق  
الناس ، ورفق الله الطاعون

ورأى الفاروق بعد ارتقاع هذا البلاء ان يسير الى الشام  
يزرب امورها ، وينظم شؤونها ، وينظر في امر الناس بعد هذا

الصاب الذي دهمهم ، فسار حتى نزل الشام ، ونظر في امور  
الناس ، وولى الولاة ، وورث الاحياء من الاموات  
وحضرته الصلاة يوماً ، فسأله الناس ان يأمر بلالة  
فيؤذن له ، فلمره فأذن ، فاجب احد كان ادرك رسول الله ، وبلال  
يؤذن له ، الا بسكى حتى جف دمه وابتل لحته ، وسكى من لم  
يدركه يسكتهم لذكره صلى الله عليه وسلم  
ذلك ان الناس كانوا يعلمون ويؤمنون بان ما هم به من خير  
وبركة وقوة والسباح في الارض ، انما هو بامر الله ، وفضل رسوله ،  
وما اذكى به قلوب العرب من ثورة في سبيل الله العلياً ، واحسان  
في العمل ، وانقرار الحق ، وعمل بالمعروف ، ونهي عن المنكر ...



### الزحف على مصر

افضى فتح فلسطين الى عمرو بن العاص بشي كثير من الرضى  
والطابئة ، فقد كان في نفسه شي بعد زيارته لمصر ايام الجاهلية  
لم يكن يستطيع له تفسيراً في تلك الماضيات من الايام ، واما اليوم  
وبعد ما غشى فلسطين من انصافها الى انصافها بجيوش الاسلام ،  
فقد اخذ هذا الشي بعلوده فسيقه ويتفهم كنهه ويطنن اليه ،  
ولا يرى كبير صمودية في اقراره وانفاذه

لقد اخذ عمرو يذكر الآن ما شاهده في مصر من عظمة وعارة  
وترا ، وغنى ، واخذ يحس بعد ما وفق اليه العرب من زحف  
والنصارات ، ان شأن مصر ليس من الخطورة بحيث تستطيع وقوقاً  
امام العرب وما يعمون به من حماس وجرأة وشأطء واخذت هذه  
الفكرة تعاوده ، حتى لم يعد يستطيع عليها صبراً ، فتحدث الى  
الفاروق بشأنها ، وذهب يجاوره يا يعود على العرب من قائمة اذا  
اقتحموا مصر ، واكتسحوا امصارها ، وما قد ينالهم من شروكر  
فيا اذا تركوها وشأنها ، ولارطيون قائد الروم الذي انسحب من  
فلسطين فيها ، بعد العادة ، ومجهز الجند ، ويتنظر الغرض السالحة

للاخافة على فلسطين وسورية ، اذا ما تال من العرب فرصة ، واطمان  
الى ضيقهم وقلة عددهم ...

واستمع الفاروق الى حديث عمرو وهو سيلج الجاية بشي  
كثير من الاهتمام ، ولكنه اثر التريث وبحت الامر والتألف في  
في درسه والاطمئنان الى نتائجه واخطاره ومضايقه ، خصوصاً وقد  
كان العرب لا يزالون يجاريون الروم على الحدود السودرية الشمالية ،  
والقرى ما يرحون يصعدون الجيش العربي في ايران ، ففتح باب  
جديد قد يؤدسى الى انصاف القوة العربية ، وزيادة المتابع  
والاعياء العسكرية ، ولم يكن الفاروق من الذي يميلون الى العزلة  
الا على قدر ، فاستمع الى عمرو وطلب منه التريث والانتظار  
واعاد عمرو الكرة على الفاروق ، وقال يروج لغايته وغرضه ،  
ان فتح مصر لا يحتاج الى اكثر من اربعة آلاف جندي لا يضعف  
سفرهم الى مصر جيش الشام ، خصوصاً وان فتحها ضرورية عسكرية  
لا بد منها خوفاً من غارة يغيرها الروم من وراء هذه الحدود ، وكان  
امير المؤمنين قد اعار الامر عنايته واستقر رأيه على اقراره ، فوعده  
بالنظر فيه ، والكتابة اليه عند نزوله الى المدينة ، وما كاد الفاروق  
يصل الى العاصمة ، حتى اخذ يستشير اصحاب رسول الله في غزوة  
مصر ، قابضاً بعضهم ، وانكرها آخرون ، واخذ الفاروق بالرأي  
الاول فكسب الى عمرو بأذن له بغزوها ، ويوصيه بالكتمان

الشديد حتى يأخذ الروم على غرة فأرتاح عمرو إلى ذلك وراح يرتب الجيش الجديد الذي يحاول اقتحام مصر بواسطة قوم المو كد اليوم إن كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كان في منتصف السنة الثامنة عشرة للهجرة ..

....

إن لمصر طرقاً ثلاثة يسلكها القادمون من الشام إليها : طريق البحر والساحل والصحراء ، وأكبر الظن أن عمرو بن العاص قد سلك طريق الساحل من قيسارية إلى العريش ، والمسافة بينهما ٢٦٥ كيلومتراً ، ذلك أنه أسهل وأبصر وأقرب ، وقد سار عمرو على رأس جيشه الصغير الذي لم يكن يزيد عدده عن أربعة آلاف مقاتل من القساة للغزاة ، أحسن عمر المختار ، وانتقام من الإبطال العربيين الذين خيروهم وبلاهم في حرب فلسطين ، وكان مسير عمرو في أواخر فصل الحريف فلما بلغ العريش استولى عليها سائلاً ، فتكثرت أول مدينة مصرية ارتفع فوقها لواء الإسلام ، وفي العريش عبد الجيش عبد الأضي من سنة ١٨ للهجرة ، ولم يلق العرب في العريش حامية عسكرية ، ويستبعد أن يكون الروم قد غلبوها لما علموا بوصول عمرو وجيشه ، لأن عمراً كثر خطته كل الكتمان فلم يكن حتى أفراد جيشه يعلمون بهزيمه ولا ما يريد ، والذي ترجحه أنه لم تكن في العريش حامية رومية قوية ، فامكن

العرب الاستيلاء عليها سداً ودون ما حرب ولا حصار واستراح الجيش العربي في العريش إياماً واستمتع بجوها الجليل ومنها العذب ، وكرومها ونخيلها ، ثم واصل تقدمه نحو القرما - وهي مدينة قد اندثرت اليوم - وكانت في لاذخي حصينة قوية ، وكانت مفتاح مصر من الشرق فاستولى عليها بعد قتال وحصار ، ومنها مشى إلى حصن بابلون وهو من الحصون الثمينة في مصر ، وكان مثله خطورة حصن الاسكندرية ، والاستيلاء على الحصين كان كفيلاً بأخضاع وادي النيل كله ، وما استولى عليها أحد إلا أخضعه وسط غلبه عليه من أسوان حتى رشيد ..

....

أما كان الحكم الروماني في مصر شديد العنف عظيم الخطأ ، يادي التعطيل ، فقد طبق الرومان لما نزلوا مصر قانون بعد اليونان شرائهم ونظمهم وهي شديدة قاسية ، ومنحوا السكان الأجانب من يونان ورومان ويهود من الامتيازات الخاصة ، ما زاد في قسوة الوطنيين المصريين عليهم ، إذ جعل لهم لاء صفة ممتازة في بلادهم وحققا يثوق حتى الوطني أضغافاً ، فكان هذا التفرق في الماملة فتحة تقال بين الحاكم والحكوم ظهر في صورته ومظاهر مختلفة ، وما الانقسامات في عهد قيس (لقوص) إلا إحدى صوره ، واشدها مظهره ، ولقد أراد هرقل قيصر الرومان بعد ما ورد الفرس عن أمصاره وبلاد

وذلك قبل الوثبة العربية إن يقضي على الخلافات المدعية في كل مصر وموطن من أمال الامبراطورية ، وأن يجعل رعاياه على اتباع عقيدة واحدة وهي عقيدة الكنيسة اليونانية أو عقيدة الملكيين ، ظناً منه أن ذلك يوثق في تمزيق ملكه ، وأقوى في توطيده ، واختار لاقرار برتبته هذا الأسقف قيس بطريركيا على مصر ، واعطاء سلطة مطلقة ، يحمل معها المصريين الوطنيين من القبط على اتباعه والتخلي عن للذهب القبطي الأرثوذكسي ، ولكن القبط وعلى رأسهم البطريك بنيامين راحوا يقاومون سياسة الامبراطور الدينية مقاومة عنيفة ، ولما اشتد العنف عليهم ، لجأ بطريركهم إلى الصلح ، بعد ما أطمأن إلى ثبات شيعته ، واعتزاهم المقاومة حتى الموت ولم يقتصر ظلم الرومان للقبط بل شمل اليهود أيضاً حاول قيس أن يذلهم عن دينهم ، فاشتد الخلاف بينهم وبينه ، وأفرق الرومان في اضطهادهم وأحرقهم ، وذبهم ، فزاد هذا في قسوة الشعب على الحكم الروماني وترقب الفرس لثورة عليه ، فلما كان الهجوم العربي كان أبناء البلاد من قبط ويهود - وقد علموا بما ينعم به العرب من تسامح وعدل - أول من أبدوا العرب ورضوا بحكمهم ، وأطاعوا إلى عدلهم والنصافهم

ومن الملو كد اليوم إن القوات الرومانية في مصر لم تكن من الخطورة والقوة كثيرة المدد بقدر القوات الرومانية في الشام وفلسطين

وليس يدل هذا على أمال الروم لمصر من الوجهة العسكرية ، وإن كان يدل على أنهم لم يكونوا يظنون أن العرب سيمشون إليها بشل هذه السرعة ، وكان أكبر ظنهم أن العرب سيعمدون إلى تنظيم شؤونهم في البلاد السورية أول الامر ، وأنهم لن يمر كوا ساكناً إلى زمن بعيد ، ولقد كان للرومان حصون مهمة جداً في مصر وأشهرها الحصون التي أقاموها حول الاسكندرية ، وكانت منبعاً تمهيباً الآلات القوية ، وكانت الأقوات فيها وفيرة تزيد عن حامية المدينة التي كانت تقهر بنفسين الفاً

وكان هناك حصون أخرى كحصون (بابلون) (وتيقوس)

و (كربون) وكلها كانت قوية متينة

ولقد وصل العرب إلى حدود مصر ، والروم لا يعمدون عن هذا الحرف شيئاً ، وقد فوجئ قواد الروم بوصول العرب إلى حدودهم مفاجأة ، فاضطربوا أول الامر ، ثم جمعوا أهرم على المقاومة والحرب وغادر (قيس) الحاكم الرومي لادي النيل مقره في الاسكندرية إلى حصن بابلون ، ليدرس مع رجاله المخطط العسكرية لمقاومة العرب وصدم ، وكان في مقدمة عمله أنه انفذ قوة عسكرية إلى (القرما) لما بلغه تقدم العرب نحوها ، تشد أزر حاميتها ونصمد

للعرب ولو إلى حين

(١) بطار : كتاب فتوح العرب لمصر



والفرما مدينة صغيرة تبعد عن العريش ١٣٠ كيلومتراً ظناً  
اقتحم الجيش العربي العريش تحول إليها وحاصرها ، ودارت معارك  
صغيرة بين العرب والحامية ، توقف العرب سبيلها إلى اقتحام  
المدينة ، فاستسلمت عندئذ الحامية واستولى العرب على المدينة  
وحصونها .

ولم يعطى عمرو بن العاص الأقامة في (الفرما) بل واصل زحفه  
لا يعارضة أحد حتى وصل إلى (بليس) <sup>(١)</sup> فحاصرها مدة شهر ،  
وكسر جيشاً رومياً عظيماً فاحس هذا النصر اقشدة العرب على  
قوة عددهم وضعف مواردهم وبعدم عن مراكزهم في سورية والجزيرة  
وقد قدر بعض المؤرخين جيش الروم في بليس بألفي عشر  
الفا ، ولم يكن العرب يزيدون عن ثلاثة آلاف ومئات ، وكان  
قتل الروم في المعركة يزيد عن ثلاثة آلاف ، وقد اثر في نفوس  
المصريين انتصار العرب في بليس ، وكانت تعد من المراكز الكبرى  
في المنطقة الشرقية ، وكانت اخبار الفتوحات العربية في فارس  
وسورية وفلسطين والعراق تلاحق الأرض ، وثبتت العرب في النفوس  
وكانت حديث المصريين في خلواتهم ويترجم ، فازدادوا للعرب

(١) مدينة معروفة اليوم في القطر المصري ومن أعمال مديرية الشرقية  
تقع في طرف الصحراء الشرقية الغربي ، على الطريق بين القاهرة والعريش  
وتبعد عن الاول ٥٥ كيلومتراً وعن الفرما ١٤٥ .

تعظيماً وأكباراً ، والناس مغطرون على احترام الشجاعة والقروسة  
وصل تقدير الشجاع الباسل ، ومن المؤكد ان انتصار العرب في  
مصر يعود إلى سرعتهم في الزحف ، والسر والفر ، وحاسمهم العظيم  
وما كان يدوي سيف آذانهم من انتصاراتهم السالفة ، وزحفهم  
السابق .

وما كاد عمرو يستريح في بليس حتى واصل زحفه ملتزماً  
طريق الصحراء الشرقية حتى وصل إلى (أم دين) <sup>(٢)</sup> وكانت فيها  
حامية رومية وعلى رأسها ثيودور قائد الروم العام في مصر ، وكان  
معه فيرس الحاكم الإداري العام ، وقد اقبلوا لتقديم العرب خلفه  
يتعهدان خطوط الدفاع بانفسهما ، ويجتران الجند على المقاومة  
والهالة ، ولكن ذلك لم يمنع الامر الواقع ، فصد العرب للروم  
وهزموهم واستولوا على أم دين ، وانقذوا عمرو مركزاً عسكرياً  
لجيشه وجواده .

ثم واصل عمرو زحفه حتى وصل إلى حصن بالبيوت واخذ  
بمحاصرتها ، وكان الروم قد حشدوا فيه قري عظيمة ، لانهم عرفوا  
ان سقوطه انهار سلطانهم في مصر ، وانصرام حكمهم فيها . . .  
ولكن عمراً رأى من السياسة ان لا يهاجم الحصن رأساً ،

(٢) أم دين قرية صغيرة على غفة النيل الشرقية في شبلي حسن بالبيوت  
بادت واندرت وقام اليوم مكانها حي الأرنكة وهو اليوم في قلب القاهرة

وفضل ان يقتحم أولاً مصر الوسطى لارهاب عدوه وحمله على  
تجوزة قواته ، حتى اذا وصلت الامدادات التي طلبها من الخليفة  
كر على الحصن وانقضى وقضى على حامية الروم فيه .

ولقد نفذ عمرو خطته العسكرية هذه بشيء كثير من  
الجرأة والبراعة ، فاستولى على مدينة مقيس عاصمة الفراعنة - سيف  
ماضيت الايام <sup>(١)</sup> ، ثم انجمت العرب فاصداً قلب مدينة الفيوم ، ولما  
علم ان الروم قد حشدوا فيه قوة تقاومته ، ارتد عنهم إلى البهتسا ،  
فبقله وهو فيها ان قائد الروم في الفيوم قد اخذ بتأثره بقوة قليلة  
فارتد عليه وهزمه ومزق جنده .

وحشد الروم عندئذ قوات عظيمة في الفيوم ظناً منهم ان  
عمراً سيمشي إليها ، ولكن هذا ذهب مسرعاً نحو الشمال بعد ما  
التى العرب في مصر الوسطى (الجزيرة والفيوم وبني سويف) وحمل  
الروم على القيام بتعمية جديدة وتغيير خططهم الحربية غير مرة ،  
ما كان يزيد في قلوبهم واضطرابهم وخوفهم ، خصوصاً وقد كانوا  
يمهلون خطط عدوهم ، ويميجون لسرعة انقلاته ، فيبتا هو في الجزيرة ،  
اذا به في اليوم التالي في الفيوم ، وهذه السرعة في انتقال الجيش  
العربي كانت من الاسباب العظيمة في نجاحه وانتصاره .

قد لا نكون مبالغين اذا قلنا انه كانت للروم في منطقتي

(١) في اليوم من اعمال مديرية الجزيرة

القاهرة والفيوم جيشاً لا يقل عن ستين ألف جندي ، يستندون إلى  
سلسلة منعة من خطوط الدفاع والابراج الحصينة ، ولهم كل ما  
يحتاجون اليه من المعدات العسكرية والاقتوات ، وكانوا إلى ذلك  
يقابلون في بلادهم ، وقوات العرب لا تزيد عن ثلاثة آلاف مقاتل  
لا يكادون يملكون شيئاً من معدات الحرب ، يهاجمون بلاداً بعدون  
غريباً في اراضيها ، ولا يعرفون سوى القليل من شوقها واختارها  
فلسانيها غير لسانهم ، ودينها غير دينهم . . .

ولكنها القوة الروحية العربية ، وهذا الاطمئنان إلى الموت ،  
والاعتدال على الله في حالي الفشل والنصر ، وهذا الايمان الذي ملك  
عليهم مشاعرهم وعواطفهم كان في الواقع فوق كل قوة ، وكان شيئاً  
عظيماً لا يقف أمامه حصن ولا جبال ، ولولا ذلك لما استطاعوا في  
هذه السنوات ما لا يستطعمه من هو أكثر منهم قوة وجنداً وسلاحاً  
مدى الاجيال

.....

قد استغرقت هذه المظاهرة العربية العسكرية عدة اسابيع  
بدأت في اواخر شهر مارس سنة ٦٤١ وانتهت في تموز ، وعاد عمرو  
بعدها إلى أم دين لاستقبال التجديدات الجديدة التي كانت بقيادة  
الوزير بن العولم ، وكان عدد التجدة الاولى أربعة آلاف والثانية  
مثلها فاصبح الجيش العربي في مصر يزيد عن عشرة آلاف مقاتل

## مفاوضات الصلح وفشلها

أخذ عمرو بن العاص يقلب الرأي بعد وصول الامدادات اليه ، أينما جز الروم مقتحماً حصن بابليون ، لم ينتظر خروجهم منه اليه ؟ ثم استقر رأيه على التثبيت في امره ، وتنظيم قواته وجنده ، فاستقر في المطرية وهي ( هليوبوليس ) الحاضرة ، أياماً لا يمرض للروم ولا يمرضون له ، حتى قلت اليه عيونه ان الروم خرجوا اليه في اربعين الف مقاتل ، وانهم تركوا في الحصن عشرة آلاف للدفاع عنه ، وصعد من يحاول اقتحامه والاستيلاء عليه .

وقفقت الحيلة لعمرو ان يقاتل الروم وبما كرم ، في حربه هذه ، فقسم قواته ثلاثاً ، سير الاولى الى ام دين في الغرب ، وبعث بالثانية الى ثنية الجبل في الشرق <sup>(١)</sup> و امر قائدهما بان يجانبا جناحي الجيش الرومي ويضربا مؤخرته ما كان الى ذلك سبيل ، ونهذه هو بن معه ، لقاتلة الجيش الرومي ومجالدته

وواصل الروم زحفهم حتى بلغوا مكاناً في القاهرة يقال انه حي العبادية ، فالتقوا بالجيش العربي ، فوقف الجيشان فترة من (١) قرب موضع قلعة القاهرة اليوم

الذين يرثبات صفوفهما ، ثم كان الهجوم ، فاستبسل الروم ، واستنفل العرب ، واقبلت والمعركة دائرة ، القوة التي كانت تكن سبب الجبل بقيادة خارجة بن حذافة تنحدر للعداء ، وحلت على مؤخرة الروم ، واختلطت بجناحيهم اليمين ، فأنوقت فيه القدر والوهن والاضطراب فارتد نحو اليسار ، الى جبهة ام دين ، فقتلته القوة العربية الاخرى باسنة الرماح ، وشغار السيوف ، وأمعت فيه قتلاً وجرحاً فتزق شمله ، ونشئت رجاله ، وكانت معركة هائلة فثك فيها العرب بالجيش الرومي فزقوا صفوفه ، وخرقوا زخوفه ، فلاح من استطاع النجاة منهم بحسن بابليون ، وأخلقوا ابوابه عليهم ، وغنم العرب ما لا يحصى من الغنائم والمعدات الحربية واسباب القتال وسيطروا على المنطقة للتمتد من هليوبوليس حتى الحصن نفسه ، وكان من نتائج هذا النصر ان حلت الحامية الرومية عن القيوم وابوط ، فإرسل عمرو كتيبة فاستولت عليها ، وأرسل قوات اخرى تجوس ما حوله من الامصار والمدن ، فاستولت على الجزيرة ومنف والزيت وسواها .

ولما انتهى عمرو من فتح الانبياء الوسطى ضرب نبطاً من الحصار حول حصن بابليون وذلك في شهر ايلول من سنة ٦٤٠ ميلادية ، وكانت معركة العبادية قد وقعت في شهر تموز ، لما فرى الرومي في الحصن فلم تكن تزيد عن بضعة آلاف بعد ان اخفت للمعركة

أكثر الجيش وقت على رجاله وعتاده .

وكان تيدور القائد العام للجيش الرومي يتولى ادارة الحصار ، وكان قبرس الحاكم الاداري العام ونائب الامبراطور لا يزال في الحصن وقد ملك الجليم خوف ووجل ، بعد ما قطعوا الامل من صد العرب ورددع ، وبعد ما ايقنوا ان الامبراطور ان يستطيع مساعدتهم بعد ما ناب جيوشه من فشل وخذلان في معارك الشام وفلسطين . وتحدث قبرس الى رجاله بأمر الصلح ، فوافقوه ، واجازوا له الاتصال بالعرب ومهايرتهم بالصلح وان يبتذل جهده لارضائهم بالمال ، وحلهم على مفادرة البلاد ، وارسل قبرس وفداً من رجاله الى عمرو ، فأكرم القائد العربي وفادة الوفد ، واستمع الى اقوال رجاله ، وكان المتكلم اسقف بابليون ، الذي ذهب يتحدث الى عمرو بما يجهز له الروم من رجال وعدة حربية ، وينصحه بالاتفاق والصلح ، فكان جواب القائد العربي ، انه ليس بينه وبين الروم في مصر غير احدى ثلاثة :

اما ان يدخلوا الاسلام فيكونوا اخوان المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم ، واما ان يدفعوا الجزية ، او تحكّم الحرب يتنا وينسك .

وترك عمرو الوفد يقضي يومين بين جيشه ، يشاهد هذا الروح الفياضة القوية الكاثرة تظهر في رجاله ، وهذا الحاس الخفيف يضطرب

في أفئدة جنده

فلما رجع الوفد الرومي الى قومه وسأله عن العرب قال بعضهم : " رأينا قوماً للوث أحب الى احدهم من الحياة ، والتواضع أحب اليهم من الرقة ، ليس لاحدهم في الدنيا رقة ولا نعمة ، ولا ما جلوسهم على القرب ، ولا كلهم على ركبهم ، واميرهم كواحد منهم لا يعرف رفيقهم من وغيبيهم ، ولا السيد من العبد ، اذا حضرت الصلاة لم يختلف عنها احد منهم ، يسلون اطرافهم بالمال ، ويحشون في صلاتهم " .

....

وذهب وفد عربي آخر الى قبرس يطلب منه ، فتحدث اليه بمثل ما تحدث به اميرهم للاسقف ، وكرر كبير الوفد انهم موتهجده وقال ان شروط الامير لا تعديل فيها ولا تبديل لاحكامها ، فاما الاسلام او الجزية او الحرب ، ورفض الروم الاخذ بأحد هذه المطالب ففشلت المفاوضات بين العرب والروم ورجع الوفد العربي يحدث عمرو بن العاص بما كان وما رأى وسمع

فرأى عمرو عندئذ ان يتعجل الروم بالحرب ، بعد ما فشلت المفاوضات ، وان يوجه عتائه الى اقتحام الحصن والتواضع من يد حاميته ، لأن احتلاله معناه انهيار الحكم الرومي في مصر الوسطى والبلد .



وبينا كان عمرو يعد مداته ويهيء صفوفه وزحفه تلقى من  
( قيرس ) اقتراحاً بمقد هذبة لمدة شهر واحد فاجابه بالرفض ووافقه  
أياماً ثلاثة ، فإذا قبلوا أحد شروطه الثلاثة نالت السيوف إلى أغمادها  
والأفلام من الحرب والقتال

وقبل أن يتلقى عمرو جواب الروم على رده وقبل انقضاء  
الأيام الثلاثة التي رضي بان لا يجارهم فيها ، خرج الروم من حصنهم  
يحاولون تزيق صفوف العرب فلما منهم أنهم سيأخذونهم على غرة  
فلقوهم على مثل أهبتهم واستمدادهم ، وصمد العرب لهم ، ومزقوهم  
فارتدوا إلى حصنهم ككرة أخرسنة ، وقد نالهم من الجهد والأعياء  
ما فقى على حميتهم ، وذهب ثورتهم وحماهم ، فاحذوا بدعون  
إلى الصلح والسلام ، وقد أصبحوا على مثل اليقين من أن العرب  
سيقتحمون حصنهم ، ويقضون عليهم ، وكان الروم أول من طلب  
الصلح ككرة ثانية ، فإرسالوا يقولون أنهم يقبلون بالشروط الثاني من  
للطالب وهو دفع الجزية والدخول تحت حماية الدولة العربية ،  
فوقفت عندئذ رضى الحرب ، واستوفت المفاوضات بين المصكرين  
حتى تم الاتفاق على الشروط الآتية ، وهي أول معاهدة تمتد بين  
الروم والعرب في مصر ، وقد علق الروم تنفيذها على رضى  
الامبراطور بها .

وكانت للمعاهدة الجديدة تضطرب في أربعة بنود : مصالح

مصر على الجزية ، يملق نفاذ هذا الصلح على إقرار الامبراطور له ، يلغى  
هذا الصلح إذا رفضه الامبراطور ، تقف رضى الحرب مدة شهر  
ويلازم كل جيش موافقه فلا يتعداها

ولما تم الاتفاق ، ووقعت شروطه غادر قيرس الحصن عائداً  
إلى الاسكندرية ، وكتب إلى الامبراطور بسط له الحاقه ويذكر  
له شروط الصلح التي تم الاتفاق عليها ، وطلب إقرارها ، لأنه ليس  
في الامكن الحصول على أفضل منها ، كما أنه من المستحيل التغلب  
على الغزاة العرب وإخراجهم من البلاد

ويقول مؤرخو الدولة الرومانية إن الامبراطور ارسل يستدعي  
قيرس إليه ، فركب هذا البحر إلى القسطنطينية ، وقابل الامبراطور  
وسط له وأبه في الحالة في مصر ، ولكن الامبراطور ابن إقرار  
المعاهدة ، وأب قيرس ، واستمع كلاماً مرأ ، وأسلمه إلى محافظ  
العاصمة قشيره ، وإهانة ثم أصدر امره ببقية إلى مسكن بعيد سيف  
الامبراطورية .

وعندئذ استوفت المارك بين المسلمين والروم ، وكان هؤلاء  
يخرجون لقتالهم في فترات متقطعة وهم يأملون أن يصيبوا غرة أو ينالوا  
مثلاً ، فيزيمون ويعودون ، حتى ضاقوا ذرعاً بتوالي انتزاعاتهم ،  
وتشديد الحصار على حصنهم ، فاستسلموا إلى العرب بعد حصار  
دام سبعة أشهر ، فأمهم عمرو ، وأملهم ثلاثة أيام يغادرون فيسأ

الحصن مع ما يحتاجون إليه من ميرة لأيام فقط ، وفرض عليهم تسليم  
ما في الحصن من ائمة وذخائر وغيرها ، كما أقر الجزية على سكان  
الحصن بمن فضل البقاء على دينه

ولقد ارتفعت راية الاسلام على الحصن في صبيحة يوم الجمعة لست  
خلون من شهر نيسان سنة ( ٦٤١ ) وتسلمه العرب ثانياً بعد خروج  
الروم منه في اليوم التاسع ، وكان أول ما تكلف له عمرو من الأعمال  
بعد فتح الحصن إقامة جسرين على النيل بين الحصن والروضة  
والجزيرة ، فوصل بذلك بين الشاطئ وسيطر على حركة النقل ، ثم  
انفذ السرايا إلى البلاد المحاور تهديدها إلى الصالح الذي صالح عليه أهل  
الحصن ، فدخلت وارتقت بدفع الجزية ، وفي الواقع أن الاستيلاء  
على الحصن مكن العرب في وادي النيل موزاد في هيبتهم ، ووطئهم مر كرم  
ولم يطل عمرو الإقامة في الحصن غير أيام اصرف في انتائها  
إلى تربيته وإعادته إلى ما كان عليه ، ثم غادره بعد أن أقام فيه  
حامية بقيادة عبد الله بن حذافة السهمي ، ولم يدخل شهر مايس حتى  
كان عمرو يطوي الأرض على رأس جيشه في طريقه إلى الاسكندرية  
بعدما كتب إلى الفاروق بفتح الفتح ، ذا كراً ما لقيه من نجاح  
وتوفيق ، وطالباً موافاته بجندات جديدة يستعين بها على إخضاع  
حصون الروم في مصر خصوصاً حصون الاسكندرية التي كانت  
أشد الجليم قوة ومثانة

## افتتاح الاسكندرية

سلك عمرو في مديرة إلى الاسكندرية طريق الصحراء  
الغربية ، فسار منها إلى القساط فامابة ومنها إلى ( عزبة لثاني )  
فالطرائة ، واستقرت رحلته هذه عدة اسابيع ( مايس وحزيران )  
اشدك في خلالها مع الروم بعدة معارك انتصر فيها جميعاً ، وكانت  
معارك ( الكريون ) اشد هذه المارك هولاً وقوة وشدة ، فاستقبل  
فيها الروم ، وحشدوا كثيراً من قواتهم ، ولقي العرب عاة شديداً  
في ردهم والصمود لهم ، ولكن عمراً ثبت في قتال عدوه ، حتى انهك  
قواه وشنت جموعه ، ففرق الروم تاركين ( الكريون ) وحصنها  
بين يدي العرب ، مع ما فيه من ميعات وذخائر واسلاب ، وما  
كاد عمرو ينتهي من احتلال الكريون وترتيب شؤونته فيها ، حتى  
واصل زحفه إلى أسوار الاسكندرية ، فحط رحله أمامها ، وعكف  
على وضع خططه الحربية التي سيكون من نتائجها فتح هذه  
الحصون ، واستيلاء العرب على أعظم معقل للروم في وادي النيل .

لقد كانت حصون الاسكندرية تعد من ائمة الحصون في

مصر ، وكانت قوات الروم في المدينة لا تقل عن خمسين ألفاً ،  
لديها السلاح الوفير ، والمعدات الكثيرة ، والأقوات العديدة ،  
يحميها البحر من ورائها ، والأسوار من قدامها وجنابها ، لذلك  
كانت مهمة اقتحامها صعبة كأداء .

ولم يكن هناك حصار بالمعنى القهوم من هذه الكلمة اليوم  
وإنما كانت هناك مضايقة ، تقصد على السكك تجارتهم ، وتضر  
بمصلحتهم ، وتؤذي بنهيار الحركة الاقتصادية عندهم ، والاسكندرانيون  
يعملون في معاشهم عليها ، لأن الاسكندرية كانت المركز التجاري  
الكبير لمصر وتفرها العظيم ، كما أن سكان المدينة انفسهم لم  
يسكنوا يفلون عن ثلاثمائة ألف ، وهو عدد عظيم ليس يستطيع  
البقاء طويلاً ضمن أسوار المدينة ، والأطمئنان إلى حياة الحصار  
والحرب والقتال .

ولقد يلم عمرو عمرو حصون الاسكندرية في اواخر شهر تموز  
بعد ما هزم الروم في طول الطريق بين القاهرة والاسكندرية ،  
واحل مراكزهم وحصونهم ، حتى ضاقت الاسكندرية على رحبها  
بالمهاجرين واللاجئين الذين اندفعوا للاحتباء بها من جميع اطراف  
البلد .

واخذ عمرو مركزه في مكان بعيد عن فداثف الحامية  
والحصون ونبال الجند ، ثم قام بحركة هجوم بسيطة حول الحصون

ليجمع عودها ، ويعترف على مواطن الضعف فيها ، فاصلا الروم  
ناراً حامية ، وصبوا عليه الاجار من افواه البجعات ، فارتد إلى  
الوراء ، وإن أن يجاذق بجده قبل أن يقبل وجوه الرأي في الحركات  
العسكرية التي كان يعتزم اقرارها حول الاسكندرية وحصونها .  
وكانت الامبراطورية الرومانية هذا العهد تضطرب بشي  
كثير من الاضطراب والتضعف ، وزاد الحالة سوءاً ما ألم بهرقل  
من اضطراب ونكر وتورات نفسية بعد فشله في المعارك السورية ،  
فوفاته عام (٦٤١) ميلادية قدام ولديه قسطنطين وهو الأكبر وهو  
كلونان وهو الأصغر بالامر بعده ، واشترك الامبراطورة مرتبة  
والدة الثاني بالحكم معهما ، وفي تمدد الرؤساء ما فيه من خرق  
واضطراب ، في وقت كانت الامبراطورة اخرج ما تكون فيه  
إلى القائد الواحد ، والامبراطور الفرد .

ولقد حاول الامبراطور الاول (قسطنطين) أن يبحث موقف  
الروم في مصر ، فإرسل يديري قائد الاسكندرية إليه ، وتحدث  
الأتان بالموقف العسكري ، ووعده الامبراطور القائد بأرسال البعثات  
إلى مصر ، ولكنه ما لبث أن توفي لاحقاً بآية ، ويقال أن  
الامبراطورة والدة الثاني اشبه الاصر في التي عملت على هلاكه لتستغل  
بالسلطان ، وبعد وفاة قسطنطين أعاد الامبراطور الصغير (قيس)  
الحاكم الاداري العام السابق في مصر إلى منصبه بعد أن كان منفياً

بأمر والده ، وأرسله إلى مصر لمصالحة العرب والنظر في شأن  
الحركات العسكرية في وادي النيل .

ونزل قيس الاسكندرية في شهر ايلول من سنة ٦٤١ وعاد  
معه القائد العام تيدور ، فاستقبله السكان الاسكندرية  
بمغاوة بالغة ، وقد اطمأنوا إلى أنه يحمل اليهم السلام والوثام .  
واسرع قيس بعد نزوله الاسكندرية فركب النيل سراً في  
اواخر تشرين الاول إلى القسطنطين للاجتماع بعمر بن العاص ،  
الذي كان يتزله في هذه الايام تاراً جند حول أسوار الاسكندرية ،  
فرحب عمرو به واكرم وفادته واحسن استقباله .

وحدثت المفاوضات بين القائلين لعقد الصلح وانتهت في شهر  
تشرين الثاني من سنة (٦٤١) وانتهت بالاتفاق على الأمور الآتية :

- ١- تعقد هدنة بين الروميين لمدة احدى عشر شهراً .
- ٢- يبقى العرب في اماكنهم مدة الهدنة ، ولا يجاوزون النخام  
الاسكندرية .
- ٣- يكف الروم عن القتال .
- ٤- تحرل حامية الاسكندرية إلى بلادها بجرأ ، ويحمل جندها  
متاعهم على أن يدفع من يريد الرحيل برأ ، ومزاء معلوماً في كل شهر ما قام  
في ارض مصر .
- ٥- لا يعود جيش الروم إلى مصر ولا يعمل لاسرعاها .
- ٦- يكف المسلمون عن اخذ كنائس المسيحيين ولا يتدخلوا في  
امورهم الدينية .

٧- تدفع الجوية عن كل من دخل في العقد .

٨- يباح لليهود الاقامة في الاسكندرية .

٩- يسلم الروم للعرب كميات لتفصيل يرد هذا العقد ١٥٠ غاطاً  
و ٥٠٠ من سكان المدينة .

هذا ما رواه حنا القبوسي عن المعاهدة ولما المؤرخون العرب  
فيقولون أن الاتفاق صار على أن تدفع مصر الجزية ، وقدرها خمسين  
الفاً ، ولا يذكر أحدهم شيئاً عن اليهود والهدنة وغير ذلك وقد  
يكون الاتفاق قد صار على هذه الأمور شفاعلاً لا كتابة .

وحمل قيس صورة المعاهدة معه إلى الاسكندرية وأرسلها  
إلى الامبراطور في القسطنطينية مقترحاً اقرارها ، وأرسل  
عمرو بن العاص بدوره معاوية بن خديج الكندي إلى المدينة يحمل  
صورة الاتفاق إلى أمير المؤمنين .

واناخ معاوية ناقته عند باب المسجد في المدينة وكان الوقت  
ظهرآ ، فرأته جارية من بيت أمير المؤمنين فسأته عن اسمه فقال :  
انه رسول عمرو بن العاص ، فأخبرت القاروق بحجبه ، فدناها وقال  
له : ما وراءك ؟

— خير يا أمير المؤمنين ، لقد فتح الله علينا الاسكندرية .  
— ولماذا لم تأدر إلى ابلائي ذلك عند وصولك ؟  
— لقد وصلت وقت القيلولة وغلفت انك تأتمن أشأز عاجلك



— يس ما قلت ، وبس ما ظننت ، لئن كنت في البار لا ضيع  
الرعية ، ولئن كنت في الليل لا ضيع نفسي ، فكيف بالنوم في هذين  
واسرع الفارق الى المسجد ، ولمر بالاذن فاقبل المسلمون  
فصعد المنبر وعندما حمد الله والي عليه بشرهم بفتح الاسكندرية  
وتزول مصر تحت حكم الله والاسلام

حمل قيس المعاهدة معه الى الاسكندرية ، فاخبر تيدور قائد  
الجيش اول الامور ، فاذعن للامر الواقع ، ثم عمد قيس الى  
تعزيز بنود الاتفاق بديانة وكياسة ، فلم يشأ ان يقاضي الجمهور به  
فيثور عليه ويضطرب جبل الامن في المدينة ، وقد انتهى ثورته  
واضطرابه برفض العقد فيحق به القتل والاخفاق ، ولما استوثق  
قيس من تأييد رجال الدولة في الاسكندرية كالمعاهدة ، فوفي مقدمتهم  
كبار القواد المسكرين ، دعا الى اجتماع عالم ، وخطب اجمع  
فوصف حالة الدولة الرومانية ، وما تطرق اليها من ضعف ووهن ،  
ثم تكلم عن غزو العرب لمصر ، واستطرد فاشار الى الصلح الذي  
عقده مع قائدهم واسهب في وصف البواغث التي يبتغى على عقده ،  
ونوه بما فيه من الزايا ، ودعا الى اقراره ونفيده لانه افضل ما يستطيع  
الحصول عليه لمن كان في حال كمالهم ، فافتر الحاضرون عمله  
ووافقوا عليه ، وكتبوا بذلك الى الامبراطور قائده واما بتنفيذه ،

ولما انتهى كل شيء ، وذلك العقبان ، ووافر الموعد المضروب  
لتنفيذه ، اتصل ولاة الروم في داخل المدينة بولاة الامور العرب  
المرايطين حولها ، واتفقوا سرّاً على ان تقترب كتيبة عربية من  
الاسوار فيفتح لها فتدخلها ، وتسلم المدينة ، والخز الاول من مال  
الجزية وقد نص على ان يدفع على ثلاثة اقسام ، ولقد تمت الكتيبة  
العربية من الاسوار في الوقت المعين ، وشاع الخبر في المدينة ، وكان  
العامه في جامل من المعاهدة وخبر الاتفاق ، وما اهتم بولاة الامور  
بملاحظتهم على ذلك ، فاسرع الناس الى الراج ليروا ماذا يكون بين  
العرب والحامية وما كان اشد عجبهم لما رأوا العرب يدنون من الابواب  
فتفتح لهم ، فدخلوها في امن وسلام

وهاج الناس وماجوا ، لما علموا بان الامر قد انتهى وانفق  
الفرقان على المصالحة ، وذهبوا مسرعين الى قصر الحاكم فخرج  
اليهم قيس ، ووقف فيهم خطيباً وسط لهم الموقف وقال :  
« انه اذا اراد من العقد الذي عقده مصلحة قومهم ، دفع الاذى  
عنهم ، فالعرب اقرباء لا يصددهم صاء ، ولا يهجمهم عائق ، ولا تنفع  
مهم المقاومة

« لقد اراد الله ان يملكوا مصر ، ولا راد لقضائه ولعلك كان  
على الروم ان يصالحوهم فان لم يفعلوا ثقلوا عليهم ، وجرت المعامه  
انهاراً ، ونهبت الاموال ، وزهقت الارواح ، وخسر الدين يبقون

في قيد الحياة ما يملكونه من ثروة وعقار ، وعاشوا اذلاً مشتهين  
مشردين

« لقد ضمن الصلح للناس في الاسكندرية حياتهم وآمهم  
على اموالهم ، وحفظ لهم دينهم ، فمن اراد ان يعيش في ارض مسيحية  
كان له ذلك ورحل ، ومن اراد البقاء فلا مانع من بقائه »

ثم بكى وابكى الجمهور ، وشهد الله على انه لم يفعل ما فعله  
الا خدمة للامة وحراً على مصلحتها ، واثرت اقواله كما  
اثرت دموعه في الناس ، فسكت ثورتهم وارتضوا بالامر الواقع  
وجمع المال المطلوب للجزية ، فوضع في سفينة غادرت الاسكندرية  
من الباب الجنوبي الى المعسكر العرب ، وكان قيس بين رعاياه  
فسلم المال وكان ذلك في اليوم الاول من محرم سنة ٢١ للهجرة او ١٠  
كانون الاول سنة ٦٤١ ، وهو يوم استيلاء العرب رسمياً على  
الاسكندرية ، وقد دخلها عمرو بن ذلك على رأس جيشه وقبض  
على زمامها ، واقام ادارة جديدة فيها

## مكتبة الاسكندرية

من حق المؤرخ المعاصر الذي يؤرخ لامير المؤمنين عمر  
ابن الخطاب ان يعرض لمكتبة الاسكندرية الشهيرة وما تبته  
بعض المؤرخين الى امير المؤمنين من الامر باحراقها ، فحرق العالم  
بذلك ثروة عليية عظيمة ، ليس من السهل تقديرها وتحديد مداها  
ولقد رأينا ان تعرض لهذه الناحية المطعنة من سيرة القاروق  
بشيء كثير من القصد ، وتبحث اقوال المؤرخين من معاصرين  
والقدمين ، ونصور الاسكندرية عاصمة العلم في مصر تصويراً تفنن  
انه اقرب ما يكون الى الحقيقة والواقع ..

انحصرت الحياة العلمية في القطر المصري بمدينة الاسكندرية  
منذ ان اتخذها البطالسة عاصمة للحكم ، وما لبثت هذه المدينة ان  
اصبحت عاصمة عالم القديم العلمي بمره ، واضحت مناراتها  
النصوية على مدخل ثمرها ترمز الى منزلة المدينة الرفيعة من العلوم  
والمارف والفنون الفلسفية ، واضحت هذه الحقيقة لتتضح في  
المكتبة الفضة التي انشأها وأغناها اولئك الولاة ، حتى  
بلغ ما جمع فيها من كتب العلم القديم سبعاً ألف مجلد ، حتى

سنة ٤٢٢ ق م

وفي هذه السنة تارت الاسكندرية على يوليوس قيصر القائد الروماني العظيم انتصاراً لبطليموس الثالث عشر ملكها ، ومما كنه لاخته كايوبطرا التي كان ذلك القائد معضداً لها ومعبداً لجلالها وقوتها ، وحاصرت العامة الماهل الروماني في قصر الملوك الذي كان مقباً فيه ، فاضرم قيصر النيران في جوانبه لينجو بنفسه ، فامتد عليها حتى تناول تلك المكتبة المديعة للثيل والتهما ، أو التهم معظمها ولئن لم تكن هذه الحادثة العزلة المذكورة في مآكثه قصر ولا فيا كنهه شيشرون ولا فيا كنهه طيطس ليفس وبقي مؤرخي الرومان المعاصرين ، ولئن لم يذكر هذا الحادث الا فيلسوف سكا الروماني بعد مائة سنة من وقوعه فان حريق المكتبة في عهد قيصر امر واقع لا ريب فيه

ولكن ( مرقس انطونيس ) الروماني الذي خلف قيصر على حب كايوبطرا وعلى الامبراطورية الرومانية في الشرق ما لبث ان اهدى للملكة المصرية الثانية - حوالي سنة ٤٠ ق م - جسيم كتب مكتبة ملوك ( بروجو ) بابل الصغرى وكانت تيف على المائتي الف مجلد - فاستردت مكتبة الاسكندرية بتلك المدة شيئاً من هيجتها وعظمتها واخذت منذ ذلك الحين تزداد با جمعا بضيفونها ليا من مؤلفات نوابغ العصر الوثني من رومان ويونان

ولما دخلت المسيحية القطر المصري صفت الحياة العلمية فيه بصفتها الخاصة ، فتحول العلم والفن - الا ما بقي منها في المدرسة الوثنية - الى علم وفن دينيين كاثنيين اخذاً بنزعان العلم والفن الوثنيين السيادة فالحياة ، وقامت مكتبات مسيحية جديدة تراحم في السر مكتبتها الوثنية

ولما استقر الامر لقيامرة المسيحية واصبح الدين المسيحي دين الاغلبية من سكان الامبراطورية اخذ العلم والفن الوثنيين في الاحتضار ، واخذت رفوف مكتبات الاسكندرية الهبية تزدحم بمؤلفات ابناء الدين الجديد وقطابه ، علاوة على كتبه القدسة وشروحها

ثم الى امر الامبراطورية كلها الى ثاودوسيس من سنة ٣٧٨ الى سنة ٣٩٥ م - وكان شديد التحمس للمسيحية - فامر بدم معابد الوثنية وهياكلها وآثارها ، وشطب جميع معلمها ، فدرس كل ما وصات اليه بدها منها ، لا سيما هيكل مرياس بالاسكندرية - وكانت المكتبة الوثنية قد نقلت اليه لاندثر قصور البطالة القديمة - فاداع على العلم والفن الكثير التي كانت فيها وكانت كل ما لبقت عليه النيران التي اضرمتها يوليوس قيصر من كتب نوابغ عصور البطالة والعصور التي سبقتها والمائتي الف مجلد التي كانت تتكون منها المكتبة البرجية ومعظم ما اضيف الى تلك

الكتب من مؤلفات نوابغ العصر الروماني الوثني حتى سنة ٣٨٩ م وفي سنة ٤١٥ م قضت مدرسة الاسكندرية للمسيحية على آخر معهد علمي وثني في القطر المصري بثورة دينية عظمى اوقدت اوارها كيرلس الاكبر بطريرك الاسكندرية ، نكابة بالقيلسوقة هيبانيا آخر فلاسفة العهد الوثني في هذه البلاد ، فذهبت فيها هذه الآسنة الكريمة وكل ما كان لا يزال باقياً في المدينة من مؤلفات الوثنية العلمية

ثم اتي عام ٥٢٩ م فرأى الامبراطور جوستينيان (جامع القانون المعروف باسمه) ان يفتي قضاء مبرماً على كل علم ومعهد علم وثنيين ، فأمر باقتال مدرسة اثينا الفلسفية - وكانت المدرسة الوثنية الوحيدة الباقية - وبتعطيل كل مؤلفات علماء الوثنية في انحاء الامبراطورية الرومانية

والواقع اننا لا نعلم اذا كانت المكتبة بعد هذا العهد الاحمر تحوي شيئاً من الكتب ، وقد اشارت دائرة المعارف البريطانية الى ذلك فقالت : « زدان ما ذكره ابو الفرج اللطفي عن حرق العرب للمكتبة ليس في الواقع الا مغالطة وتلقياً ، لان المكتبة لم تكن تحوي ما يستحق ذكره بعد الحرائق التي منيت بها ، وبعد ما امن البطريرك ثيوفيلس سنة ٣٨٩ مسيحية فيها احراقاً بالمر الامبراطور ثاودوسيس نفسه »

ويذهب اكثر المؤرخين الى استغراب هذا الخبر للفق الذي لم يرد ذكره في كتب المتقدمين ، من عرب ورومان ، ولم يذكره الا مؤرخ واحد بعد فتح العرب لصرب سنة عام ١١١١ م ان هناك كتاباً قبله عرضوا لتاريخ مصر ، ولم يعرضوا للمكتبة واحراقها ، مما جعل المؤرخين على تكذيبه والمؤرخ من هذه الرواية القريبة للفتنة

ولما طرحت مسألة المكتبة على بساط البحث في المجلة العلمية الفرنسية قال السيو للكر : ان المكتبة لم تكن موجودة في عهد الفتح العربي لبحرقها العرب

وعرض بطر المؤرخ الانكليزي لهذه الحادثة فقال : « لا ازال اقول ان احراق العرب لمكتبة الاسكندرية غير محتمل لان العرب لم يدخلوا الاسكندرية الا بعد استيلائهم عليها باحد عشر شهراً وقد ذكر في عهد الصليبي انه يجوز للروم ان يحملوا الى بلادهم كل متاعهم ، وفي غضون هذه المدة كان البحر مفتوحاً ، فلو كان هناك شيء من الكتب العلمية الخالصة لعله الزوم معهم حتى ..... » ونظير اننا وفيما هذا البحث حقه واظهرنا بالبرهان ان مكتبة الاسكندرية لم تكن موجودة في ايام الفتح العربي لبحرقها العرب ويذهب بها الاسلام .....



### نظرة في فتح العرب لمصر

لقد كان على عمرو بن العاص بعد احتلاله الاسكندرية ان يتخذ له عاصمة يزلها جنده على مثال ما وقع في العراق من تخطيط البصرة والكوفة ، وقد مال اول الامر الى اتخاذ الاسكندرية ولكن الفاروق ابي ان يكون بينه وبين جند المسلمين بحر ، فوقع الاختيار على السهل الذي نزل فيه حين حاصر حصن بابليون ، وهو مكان القاهرة اليوم ، واطلقوا على المدينة الجديدة اسم القسطنطية .

والواقع ان العرب المسلمين احسنوا معاملة المصريين بعد الفتح كل الاحسان ، فقد كانت القاعدة المروقة غندم والشيعة في حروبهم ان تختلف معاملتهم للبلد باختلاف الاستيلاء عليه ان سلبوا حريته والبلاد التي تفتح حرياً يكون للمسلمين كل التصرف في شؤونها وتقرير مصيرها ، والغاية من ذلك ارباب البدو فلا يفرق بينه للمقاومة ، ولا يبق في وجه الفاتحين .

اما البلاد التي تستسلم سلباً وتأتي فتاقم فعاملتهم لها تختلف باختلاف حالها ، فاذنا دخلت في الاسلام ، يكون لاهلها ما للمسلمين دون ما تفضيل ولا تمييز ، لان الاسلام يشكر نظام الطبقات

والفرق الاجتماعية ، ولا فضل لعربي على اعجمي عنده الا بالتقوى والعمل الصالح .

ولما اذا ارادت الاحتفاظ بدينها ، فلها ذلك شرط ان تدفع الجزية وتخضع للشرائع الاسلامية ، وتنفق باحسانها .

وكانت ضريبة الجزية في الواقع اجراً يتقاضاه العرب مقابل للدفاع عن البلاد وصد الأعداء عنها ، وحفظ الامان فيها ، وقد جنى العرب هذه الضريبة في مصر باختيار دينارين على الشخص الواحد ، ولا يخفى ان بعض قواد المسلمين اعاد هذه الضريبة في الشام الى اصحابها لما اخذت القوات العربية يأسفوا بعض المدن ، وحجة القواد في ذلك ، انهم تناولوا الضريبة باسم الدفاع عن سكان المدينة وسلامتهم ، وبما لهم لا يستطيعون ذلك الان فهم يبيدون اليوم اموالهم . . .

ثم ان كثير من المدن التي فتحت حرياً عوملت بامر الفاروق بنفسه معاملة البلاد التي سلمت صلحاً ، راحة بها ورافقة بسكتها وصيانة لها من الحراب والفساد ، اذا طرأ عليها نظام البلاد المفتوحة حرياً ، كحصن بابليون الذي اقتحمه للمسلمون اقتحاماً ، فلما تقدم اهل بطلب الصلح لم يتردد عمرو بن العاص في مصالحتهم ومنعهم الامان الذي يطلبونه ولبياهم واموالهم وذرايعهم . . . وقد سار عمرو في فتوحاته بالتفطر المصري على هذه القاعدة

فعامل الناس بالرحمة والرافة ، ولم يأخذهم بالقسوة والشدة ، ذلك ان الفتح الاسلامي لم يكن ادانة للخراب والدمار ، ولا هو راح يساق الفتح الروماني في شدته وصفه ، والذي كانت لا يتبع الجنسية الرومانية لاهل البلاد المفتوحة ولو دخل اهلها في دين الفاتحين الا وفقاً لائتمنة وقوانين لا حاجة بنا الى ذكرها في هذا الفصل ، بخلاف الفتح العربي ، الذي يسمح للبعد الاسود بان يكون مثل العربي الحر حقاً ومر كراً ما رضي بالاسلام ديناً . . . ثم ان الجزية نفسها لم تكن مرهقة عاسفة ، وكانت في الواقع اقل كثير من الضرائب التي كانت تجب ايام الحكم الروماني ، ومن المؤكد ان السياسة التي اتبعها عمرو بن العاص في مصر ، ومعاملة الناس بالرافة والحلم هي التي مكنت للعرب في مصر ، وجعلت اهلها يؤيدون العرب في فتوحهم ويشدون ازرعهم في معاركهم ، ويتقبل الكثير منهم الاسلام ديناً . . . .

ولقد استغرق فتح العرب لمصر سنتين وشهرين<sup>(١)</sup> وذلك منذ دخول الجيش العربي العريش اول حدود مصر الشرقية ، حتى فتح دمياط والمنطقة الساحلية وشمال الدلتا ، وقد فتحت هذه الاخيرة بعد سنة واحدة من افتتاح الاسكندرية

(١) ذوالحجة سنة ١٩ هجرية - المحرم سنة ٢٢

واذا نحن اردنا بحث اعمال العرب العسكرية في مصر ، وجدنا شيئاً عجيباً ، فقد كان الفن العسكري يقضي بان يكون الجيش المهاجم الفاتح اكثر عدداً من الجيش المدافع المتحصن في حصونه وخلف اسواره ، وكان من الواجب ان تكون قواه المادية اوفر واغزر ، لان مهمة المهاجم اثقل من مهمة المدافع واصعب ، ولان مهمة الدفاع نفسها لا تحتاج الى كثير من القوى ، خصوصاً متى كان المدافع يأوي الى حصون متينة واسوار قوية عظيمة ، وارجح شائعة عالية ، كما كان الحال في مصر يوم هاجمها العرب ، وما عرف التاريخ ان قائداً عسكرياً مشى الى بلاد لفتحها واقتحامها ولا تسلك قواه المادية تذكر في جانب القوى المدافعة عنها ، وكان نصيبه غير الفشل والاختناق ، ولا يستثنى من ذلك الا الجيش الذي قاده قواد العرب الاوائل الى الشام ومصر والعراق وايران ، فقد نازل هذا الجيش قوى عظيمة لا تسلك تذكر بجنتها قواه المادية ، وقد لا يبالغ اذا قلنا ان نسبة الجند العربي في كل هذه الوقائع والخراف التي جلونا اخبارها في ما سبق من فصول لا تسلك تزيد عن واحد الى سبعة من جند فارس والروم ، ومع ذلك فقد وفق هذا الجيش الصغير الى اقتحام امصار الموثولين ، ولعن فيهما غزواً وفتحاً . . .

ولقد اجم الموثرخون من قبط وروم وعرب وغيرهم على ان

الجيش الاسلامي الذي مشى عمرو بن العاص على رأسه الى مصر ،  
واقام به حدودها الشرقية ، ما كان يزيد عن اربعة آلاف فارس ،  
كما التقوا على ان مجموع القوى الرومانية من روم وقبط لم تكن تقل  
عن مائة الف محارب ، بشت في انحاء القطار المصري من الاسكندرية  
الى الصعيد ، ومن القرما الى الفيوم ، علاوة على شبكة واسعة  
النطاق من الاستحكامات والحصون وخطوط الدفاع .

ولقد جاء العرب بزور بلاد كرتشي ، فيها يختلف عنهم ، فدينها  
غير دينهم ، ولغتها غير لغتهم ، وعاداتها غير عاداتهم ، وكل شي  
فيها لا يتفق معهم ، ولا يستقيم مع نظمهم وتقاليدهم ومع ذلك  
فقد وفق هذا الجيش الصغير الى غزو هذا الجيش الكبير  
والاستيلاء على مصر من اكبر امصار الدنيا عمراً وثروة ومنعة .  
والواقع ان الفتح العربي لمصر سيطر عملاً فذاً خالداً سيف  
التاريخ المسكري لا مثيل له ، ولا بداليه الا انما خالده بن الوليد  
في العراق والشام ، واعمال قواد العرب في القادسية وهاوند وغيرها  
من الاقطار والامصار .

### امير المؤمنين وعمله

لقد جلونا سيف الصفحات للشمسة انباء هذه الفتوحات  
الاسلامية التي مكنت للعرب في الارض ، وسطت سلطنتهم على  
اكثر للمدور المعروف في عصرهم وسع عرض في ما يلي من فصول  
لاحوال الادارة الاسلامية في عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب  
رضياً يسيراً على قدر تصور فيها ما احسنه المسلمون اول عهدهم  
بالفتوح والعمران من الوان الادارة في الحروب والسياسة والمال  
وغير ذلك مما يتصل بشؤون الدولة واستخبار الامم ، اول عهدنا  
بالعمران والسياسة .

لقد سار الصديق رضي الله عنه في الادارة الاسلامية اول  
عبيده بالخلافة سيراً هو اقرب ما يكون الى عهد النبوة ، وكانت  
الادارة عهد النبوة شيئاً لياً يسيراً ، وكان رسول كل شي . كان  
الرسول للكرم ، والقائد الاكبر ، والقاضي الاعلى ، ورئيس  
الحكومة الاول .

ومشى الصديق على غرار ما حافظ بالمال الذين استسلمهم  
رسول الله ، والامراء الذين اكرمهم ، ولما وسدت الخلافة الى الصديق

قال له ابو عبيدة : انا اكتبك المال ، وقال له عمر : ما اكتبك  
القضاء ، وكان كتابه من الصحابة ، فكانت الادارة الاسلامية  
في عهده شيئاً سهلاً بسيطاً لا تنتظم سيف امر جديد ، ولا لون  
حديث ، فلما ولي عمر بن الخطاب الخلافة ، واتممت الفتوحات  
في عهده ، وتيسر الاسلام في زمنه ، ودان له شرق الارض  
ومغربها ، دعت الضرورة الملحة لازدياد امصار الدولة الاسلامية  
الى احداث نظم جديدة في الادارة الاسلامية ليستقيم الامر ،  
ويتوطد الامن ، وينال كل ذي حق حقه .

خصوصاً وقد كانت الامصار الجديدة التي اقتحمها الاسلام  
تتمتع في الامبراطورية الفارسية والرومانية بنظم ادارية ، وتسير على  
قواعد منظمة ، فكان من واجب الدولة الجديدة القاطنة ان تصطنع  
ممكن هذه النظم والقوانين الانحيمية نظماً وقوانين حرية تستقيم  
معها حياة هذه الامصار العامة ، فيعرف اهلها واجبايتهم نحو الدولة  
الجديدة الحاكمة .

.....

وقد كان يستحيل على القائم بالخلافة ان يباشر كل شي في  
البلدان المختلفة والاصقاع النائية في ملك مترامي الاطراف ، بعيد  
الامصار ، وكان لا بد من تفويض ذلك منه الى عمال يقومون عنه  
بذلك الامر في نواحيهم ويكفونون بينه وبين الرعية بطالعونه

يامورهم ، وسوسوهم بسياسته وشدهته وعذله .  
وكان الفاروق حريصاً كل الحرص على ان يأخذ عمله  
سيرته ، يجرهون طريقه واساليه ، ويتأفون بخلافه وآدابه ، وكان  
يعتبر نفسه شريكاً في ما كان يخطئ به في عمله وسياسته من  
خطأ وخطأ ، ويرى نفسه مسؤولاً عند الله في ذلك ، وهذا سبب  
مراقبته الشديدة له ، واستطلاع اخباره ، واستقصائه اعماله ،  
يقوم عليهم العيون ، يوافونه بالخبر وسياستهم ومعاملتهم للناس في  
امصارهم ، وكان كثير التثبت من هذه الاخبار التي ترفع اليه فان  
وجدتها حقاً اخذ العامل اخذ عزم مقتدر ، واقصاه عن عمله ،  
واكثر من لومه وتعنيفه ، وان كانت باطلاً عاقب العجز عقاباً  
هيباً .

وكانت طريقة الفاروق في الادارة طريقة ابي بكر من قبل  
يطلق الحرية للعامل في الشؤون الموضعية ، ويقبده في الشؤون العامة  
ويراقبه مراقبة شديدة قاسية ، فلا يخفى عليه خير من اخباره ، ولا  
حركة من حركاته ، وكانت يجب في عماله البساطة في المأكل  
والشراب والملبس ، وسكره والبخ والتبذير ، وكان عماله يعرفون منه  
ذلك ، فكانوا يساقون في سيرته ، ويتأفون اخلاقه وآدابه ما  
استطاعوا الى ذلك سبيلاً ، ومن الصعب جداً مساوقة الفاروق  
وتكاثف سيرته ، وقد كانت شيئاً فوق الطاقة وفوق الامكان .



وكان اذا استعمل عاملاً خرج معه شيعة وينصحه وينذره، ويقول له: اني لم استعملك على امة محمد لتتو عليها، ونظلم افرادها، ولما استعملك لتقيم بهم الصلاة، وتقضي بينهم بالحق، وتقسم بينهم بالعدل، وكان يصحبه بالحسنى والتلطيف في معاملة الرعية، ويأمرهم بتجويد القرآن، واقلال الزواجة عن رسول الله، بعد ما كثرت الحديث الكاذب، وفشت بين القوم فاشية من البالدت ..

وكانت وصيته الى امرائه جنده، بتقوى الله، وان لا يتدوا، ولا يجنوا عند اللقاء، ولا يثقلوا عند القدرة، ولا يسرفوا عند الظهور، ولا يقتلوا امرأة ولا امرأة ولا ولياً، وان يزهوا الجهاد عن عرض الدنيا، يريد بذلك ان لا تكون الحرب وسيلة للسي واكتساب الاموال، وانما رفع رايات الاسلام عالية رفيعة شريفة في كل المواطن والساحات ..

وكان لا يتأخر اذا ما شكك له شخص من الرعية عاملاً من عاله ان يأتي به ويسأله عن امره مع هذا الرجل، فان وجد العامل عطفاً متبعاً مظلوماً بالانصراف منه، وعمره في ذلك لقا يتأثر رسول الله، لما رضي بان يقاد من نفسه، وذلك قبل مرضه صلوات الله عليه ..

والواقع ان الفاروق كان يريد عاله على غراره، وكانت يريد من خدمه الرعية لا لسيادته يستعبدونها، وكان يعتقد ان من

ياكل من مال الامة، وجبت عليه خدمتها، على الوجه الاكمل والاحسن، وان من تأخر عن ذلك بعد سارقاً لاموالها، متصرفاً في واجباتها نحوها، ولقد كان الفاروق رضي الله عنه، ما يتام الا الاقل من ليله، يصرف اكثره في حراسة المدينة، والتلطيف لمرفة فيها اذا كان اهلها جميعهم قد اطاعوا الى دورهم واستسلموا لاجلهم، ام ان منهم من لا يزال قائماً ماصية المش به، وقدر نزل به، فتمه عن النوم والراحة ..

وكان الفاروق قد اقام بمودين مسلبة مفتشاً عاماً يرسله الى كل بلد اشتكى اهلها على اميره، وكانت عمر يثق به ثقة تامة، وكان مسلبة اهللاً فذلك كان من رأي الفاروق ان يبحث مفتشه ما ينسب الى العامل على ملا من الناس، اذ لم يكن هناك مجال لتأثير على الناس والشهود والحضور، ويد عمر مبسوطة، وحرية الناس مكفولة، وليس احد من الرعية يخشى شيئاً اذا كان شريفاً طاهر القلب، بايدي النصيحة والوطنية ..

وما داس به الفاروق عماله انه كان يصفي عليهم اموالهم قبل توليتهم، فاذا زاد عليهم بعد ولايتهم صادرهم عليه كله او بعضه، ذلك انه كان يرى ان لا يتناول العامل من مال الامة فوق كفايته، فاذا كثرت ماله كان إما مريباً اخذه من غير محله، فثبت مال المسلمين اولى به، وفيهم اليتيم والمسكين والضعيف وذو الحاجة، وما

ان يكون راتبه فوق كفايته، والمسلمون اول ما فضل من كفاية العامل الذي يعمل بالاجر، ومن ذلك بان عمر استعمل عتبة بن ابي سفيان على كسابة فقدم المدينة جال فقال له: ما هذا يا عتبة؟ قال: مال خرجت به مني وتاجرت فيه .. قال: ومالك تخرج للمال معك في هذا الوجه، قصيره في يث المال ..

ويلع الفاروق ان ابا عبيدة عامله على الشام يسبق على عاله ويتولاهم بالحبر الكثير، فقصة من عطائه الذي كان يجري عليه، ثم سأل عنه بعد مدة قليل له، قد ثعب لونه، وتغيرت ثيابه وسامت حاله، فقال: يرحم الله ابا عبيدة ما اعف واصبر، ورد عليه ما كان يحس عنه واجراء عليه ..

ودخل عمر منزل ابا عبيدة فراه شيئاً فافاً، وسأل عن علمائه فوجده بسيطاً خشناً، فركب عمر وارسل الى ابي عبيدة اربعةائة دينار يستعين بها لاصلاح دنياه، فوزعها هذا بين اهل الحاجة في بلده .. وارسل الى معاذ بن جبل مثلاً ففرقها الا اقلها، فلما بلغه صديقاً رفع يده الى السماء يشكر الله على ان يكون في امة محمد مثلها اخلاقاً وتقوى وفضيلة ..

وكان معظم عمال عمر على غرار ابي عبيدة ومعاذ من النشف والتبلم باليسر، وكان اذا لم تقع نفسه بحسن سيرهم على العورة

التي لا يرى غيرها، لا يتركها عن عزلهم، وقد شكاه لعل حصص عاملهم سعيد بن عامر وسأوه عزله لانه لا يخرج للناس حتى يرتفع النهار، ولا يجيب احداً بليل، وله في الشهر يوم لا يخرج فيه، فلما أيقن عمر ان عامله يصعب كل يوم خبز، ويجلس حتى يخسر فيخبزه، ثم يخرج للناس، وأنه يعمل الليل كله للعبادة، وأنه يشتغل مرة في الشهر بفصل ثيابه، يبعث اليه عمر الف دينار يستعين بها فوزعها على جيش من جيوش المسلمين ..

وقدم سعيد بن عامر على عمر بالمدينة فلم يرعه الا عكازاً وقدساً فقال له عمر: ليس معك الا ما أرى، فقال له سعيد: ما اكثر من هذا، عكاز اهل عليه زادي وقدح آكل فيه .. وكان من عاله عمر بن سعد وفيه يقول عمر: وددت لو ان لي رجلاً مثل عمر بن سعد أستعين به على اعمال المسلمين، وعمر هذا هو الذي قال على منبر حصص: «لا يزال الاسلام ديناً ما اشتد السلطان وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضرباً بالسوط، ولكن قضاء بالحق واخذاً بالعدل» وهذا من بعد مزاري الادار فاعاد لانه اذا احسن اهل عمل من عاملهم العدل فانه لا يحتاج في سياستهم الى شيء من الشدة وكتب عمر الى عمر ايام كان عامله على حصص: أقبل يا جيت من في المسلمين، فلما جاءه سأل عن عمله قل: بعثني حتى أتيت البلد فجعت صلحاء اهلها فوليتهم جباية فيهم، حتي اذا جموع وضعت

مواضعه ، ولو تأتت منه شيء لا أتيتك به . قال : فما جئتني بشي . قال : لا . قال : جددوا لعمير عهداً ، فقال عمير : لا عملت ولا لأحد بعدك ، والله ما سلمت بل لم أسلم . لقد قلت لبصراني : أي أخزأك الله ، فهذا ما عرضتني له يا عمر ، وإن أشقى إياي يوم خلقت معك يا عمر ، وكأنت إذا استعملت عملاً كتب عهده : « وقد بعثت فلاناً وأمرته بكذا » فلما استعمل حذيفة بن اليمان على المدائن كتب في عهده : إن استعملوا له وأطيعوه وأعطوه ما سألكم : فلما قدم للمدائن استقبله المهاجرين ، فلما قرأ عهده قالوا : سلنا ما شئت ، قال : سألكم طعاماً آكله وعلف جاري ما دمت فيكم ، فأقام فيهم ، ثم كتب إليه ليقدم عليه ، فلما بلغ عمر قدمه بمن له في الطريق فلما رآه عمر على الحال التي خرج من عنده عليها أتاه فأنزله وقال :

أنت أخي وأنا أخوك .

فعمراً إذا لم يغير للأعمال إلا أنه ضل الرجال ممن كانوا على غرارهم وزعمه ، وكان كثيراً ما يستعمل قوماً ويدع أفضل منهم لبصرهم بالعدل ، ويقول : أترء أن أدنس هؤلاء بالعدل ، وكان يشار في كثير من الوقائع حتى قال يوماً لأصحابه أشيروا علي ودوني على رجل أستعمله في أمر قد دمني فتولوا ما عندكم ، فاني أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم ، وإذا كان أميرهم كان كأنه واحد منهم ، فقالوا : نرى لهذه الصفة

الريح من زياد الحارثي فتشبر على أمير المؤمنين به ، فأحضره وولاه ، فوفى في عمله ، وقام فيه بأمر على رجاء عمر فيه وزاد على عمله ، فشكر عمر من أشاروا عليه بولاية الربيع . وسأل عمر عمرو بن معدى كرب عن خبر سعد بن أبي وقاص نفسه فقال : متواضع في حياته ، عربي في غرته ، أمد في عريته ، يعدل في القضية ، وينصم بالسوية ، ويمد في السرية ، ويعطف علينا خطف الأم البرة ، وينقل إليها حقنا نخل الذرة ، ولما شكوا أهل الكوفة سعداً عزله عمر ولم تأخذه به عواذة ، لأن الغاية إنقاذ العمل النافع للناس على يد أي كان من عباده ، ولو لا يفتح للمسلمين باباً للشكوى ، وغير غروب السياسة أن يكون عمل العاملين فيها أكثر من قول القائلين ، وسعد هذا هو الذي كان أجمع الصحابة على توسيد حرب العراق إليه فأوصاه عمر فثلاثاً : يا سعد بني وهب لا يفرك من الله أنت قبل خال رسول الله وصاحب رسول الله ، فإن الله عز وجل لا ينجو الذي بالسي . بالسي ولكنه ينجو الذي بالمحسن ، وليس بين الله وبين أحد نسب إلا طائفة ، فالناس شريرة وموضعهم في ذات الله سواء ، الله أرحمهم وهم عباده ، يتفاضلون بالمعاقبة ويبدلون ما جدهم بالطاعة ، فانظر الأمر الذي رأيت النبي منذ بعث إلى أن فارقتنا فإنه الأمر ، هذه عقلي إليك أن تركتها ورغبت عنها جبط عقلت ، وكنت

وذهب سعد بهذه الصبيحة فكان على يده فتح العراق . كان عمر على شدة فيه مع عباده إذا أحسن باعتداه أو شبه اعتداه ، وقم على أحدهم يشتد على اللتين سيئ تلك الناحية ليقى للعامل هبة توفقه في الصدور ، ومهابة يلجم بها العامة والخاصة ، وقم له مرة أن حصب أهل العراق إمامهم ، وقد كانت عروشهم إماماً مكان إمام كان قبله لخصومه ، فغضب وقال لأهل الشام : تجهزوا لأهل العراق فإن الشيطان قد باض فيهم وفرغ ، ودعا عليهم ، ذلك لأن شكوى العراقيين عاملهم كانت باطلة ، وهو الذي يتحرى في انتفاء عباده ولا يستسلم لأحد منهم ، بل يجعل بعضهم رئيساً على بعض ، وله عليهم سلطان دونه كل سلطان ، شكاً عتية ابن غزوان تسلط سعد بن أبي وقاص عليه فسكت عنه عمر ، فأعاد عتية ذلك مراراً ، فلما أكثر على عمر قال : وما عليك يا عتية أن تقر بالأمرة لرجل من قريش له محبة مع رسول الله وشرف ، فقال له عتية : أأست من قريش والرسول يقول حليف القوم منهم ، ولي محبة مع رسول الله قدية لا تشكر ولا تدقم ، فقال عمر : لا ينكر ذلك من فضلك . قال عتية : أما إذا صار الأمر إلى هذا فوائده لا أرجع إليها أبداً . فأبى عمر إلا أن يرده فردته فالت الطريق وهذا من تأثير عمر في عباده ومعاملته لهم كما تردب الصلحة لا كما

يريدون ، ومثل آخر يخالف هذا ، والادارة تختلف باختلاف الأزمان والبلدان ، خالف معاوية ، وهو أمير الشام عبادة بن الصامت في شيء ، أنكره عبادة فأغلظ له معاوية في القول ، فقال عبادة : لا أسألك بأرض واحدة أبداً ورجل إلى المدينة ، فقال عمر : ما أفدرك ؟ فأخبره . فقال : أرجع إلى مكائك ينتج الله أرضاً لست فيها أنت ولا مثالك ، وكنت آل معاوية لا إمرة لك عليه ، ذلك أن عمر لم يكن يستغني عن خدمة معاوية ولا عن فضل عبادة .

كان عمر وهو خليفة ، لا يميز نفسه عن جمهور الناس بشيء في لباسه ومرتبه وحر كته ، يمشي بالشمع كأنه واحد منهم ، ومع هذا كانت الناس يخافونه ، ولو وقع مثل هذا التواضع أو التبذل من أحد أفراد الناس لجسروا عليه وضعف سلطانه عليهم أن كان من أرباب السلطان ، وقد كلم الناس عبد الرحمن بن عوف أن يكلم عمر في أن يلبس لهم فانه قد إختارهم حتى أنه يخاف الأبيكار في خدمته ، فقال عمر : لبي لا ألبس لهم إلا ذلك ، إنهم لو لمعلون ما لهم عندي لأخذوا ثوبي عن عاتقي .

وقال عمر : ولينا فعلنا ما يصلح الوالي ، وولى علينا فعلنا ما يصلح الرعية .

وما أرتأ بعد من الصواب إذا حكنا أن شطراً عظيماً من وقت



عمر في ولايته كان بصرفه في سياسة الحال وكشف حالمهم واتقاء  
أصلهم وتسلبهم سبب الادارة والسياسة والقضاء على أسلوب  
حكم لا تكاد تلتقي به هذا القرن أعرق الدول الحديثة في المدينة  
وأفضلها بنظمها الادارية والسياسية ، ولعل في الناس من يقول  
إذا عرضنا هنا لمصادرات عمر ، وهذا أيضاً من باب الشدة للتأهية  
والحرج على حرية الحال ، وأدخال الحرف عليهم بالضرب على أيديهم  
على صورة تفرغهم من الحياة ، ولا توليهم منه غير الجفاء والحشونة  
في المعاملة ، كذلك كانت عمر ، وهكذا وضع أساس الملك  
الاسلامي ، وهو لا يجوز إغناء أفراد بانقار لمة ولا إسماء فتمت باشقاء  
مجموع ، وكان ممن يشتركون رضا العامة بصلحة الامراء ، وكان  
الوالي في نظره فرداً من الأفراد ، يجري حكم العدل عليه كما يجري  
على غيره من سائر الناس ، فكان حب المساواة لا يبدله شيء في  
الخلافة ، إذا اشتكى المأمول أصغر الرعية جرحه الى المعاكسة حيث  
يقف الشاكي والمشتكو يسوي بينهم في الموقف حتى يظهر الحق ،  
فإن توجه قبل المعامل اتقص منه أن كان هناك داع الى اتقصاص ،  
أو عامله بما تقضي به الشريعة أو عزله ، ولقد ذكرنا قبلاً أن  
الفاروق كان يكتب أموال حاله إذا ولام ثم يقاسمهم ما زاد  
على ذلك ورعاً اخذ منهم مائة دينار بمجارة وجس فقال :  
لن هذا ؟ فذكروا عامله له على البحرين فقال : أبت الفراهم

الا ان نخرج احتاقها وشاظره ماله .  
ولقد صدر عمر عامله على مصر عمرو بن العاص ، لانه فشت  
له فاشية من تناع ورقبي وآلية وحيوان لم تكن له حين ولي مصر ،  
فادعى عمرو ان ارض مصر لارض زراعية ومتجر ، وأنها أمان خيل  
تاتجت وسهام اجتمعت ، وأنه يصيب فضلاً عما يحتاج اليه لنفقتهم ومع  
ذلك قسيمه عمر ماله ، وصادر ايا هريرة عامله على البحرين لانه  
اجتمعت له عشرة آلاف وقيل عشرون ألفاً ، وأدعى ان خيله تأسلت  
وسهامه تلاحقت ، وأنه انقر بفقال له عمر : أنظر رأس مالك ورزقك  
نخذه ، ولجعل الآخر في بيت المال ، يريد بذلك ان يحصر العامل  
سكده في خدمة أهل عمله ، أما الاتجار وتشيير الاموال فهذا ليس  
من شأن حال الدولة ، فإن لمؤلفاً ما يتعلمون به من رزق ، وكان  
يرى في مصادرة الحال وقهرهم ترويضاً لهم على الطاعة وترك التبعج  
والادلال على الرعية ، ومن ثم طرد أيضاً النعمان بن عدى عامله على  
ميسان ، وناعم بن عمرو الخزاعي عامله على مكة ، وبنو بن مينة  
عامله على اليمن ، وسعد بن ابى وقاص عامله على الكوفة ، وخالد بن  
الوليد عامله في الشام

### القضاء في عهد الفاروق

كان القضاء في عهد رسول الله خاضعاً به معلقاً فيه حلولت  
الله عليه ، وكان في عهد الصديق رضي الله عنه متصلاً بينه وبين  
الفاروق ، فكان يفرغ من النظر في الوقائم التي كان يدلي  
بها الخصوم اليه ، غير انه لم يختص بالقضاء كل الاختصاص .  
أما الفاروق فقد كان له في مسائل الفتوح وتبديل امور  
الخلافة التي تشتت وقت غزاه عظمياً في عهده ما يشغله عن التفرغ  
للقضاء وبحث الخصومات ، والتأليف بين المتخاصمين ، فأرأسه  
التفرغ لامور الخلافة وسياسة الملك وتجهيز الجيوش وإقرار خطط  
الفتوح ، وعترك القضاء لمن اختاره من بين كبار الصحابة ، فولى  
أبا الدرداء قضاء المدينة ، وولى شريحاً قضاء الكوفة ، وعهد الى  
أبي موسى الأشعري قضاء البصرة ، وولى قيس بن ابى العاص  
السهمي قضاء مصر ، أما بقية الأمصار والولايات فكان القضاء فيها  
الى الأمير الذي عليها ، وإنما كان عمر حريصاً على تفرغ نفسه ،  
وبعض لولئك الحال والامراء لما قصد من التفرغ لفتوح وإدارة  
هذه المملكة الاسلامية التي كانت تزداد غزواً يوماً بعد يوم . . .

وكان عمر يأمر الناس بالتفقه في الدين ، ويرسل الفقهاء الى  
الأمصار يفتقون المؤمنين ويعلّمونهم دينهم ، وأعلمه كان يريد من  
ذلك ان يعرف كل انسان واجبه فلا يعترا على ما ليس له به حق ،  
فلا يكون هناك سبب للتداعي والمقصومة ، وفي كتب الفاروق  
الى قضائه وعمله قوانين في التشريع والادارة سنّها للمسلمين لا  
تزال الى يومنا هذا أساساً في القضاء الاسلامي ورسائله في القضاء  
الى أبي موسى الأشعري مشهورة معروفة ، جمع فيها حمل الاحكام  
واختصرها باجود الكلام ، وجعل الناس بعده يتخذونها اماماً ، ولا  
يحد حق عنها ممدلاً ، ولا غلام عن حدودها بمحصاً .

وجاء من بعده فقالوا « إذا اختلف الناس في امر فانظر كيف  
قضى عمر ، فإنه لم يكن يقضي في امر لم يقض فيه قبله ، حتى يشاور  
رجال الدين من الصحابة بشأنه ، وكان ابداً يأخذ آراء اصحابه لا  
يقدم امراً عظيماً دون استشارتهم ، ويقول : « الرأي الفرد كالخط  
السيل ، والرأيان كالخطين للبرمين ، والثلاثة الآراء يخرج منها  
حكم لا يتفنى »

وكان عمر عالماً بالفتنة والدين والتشريع كل العلم ، حتى قال  
عنه ابن مسعود « لو وضع علم عمر في كفة ووضع علم امية العرب  
في كفة لرجح علم عمر » .

وكانت المدينة في أيامه اشبه بدرجة يخرج فيها القضاء

والعمال والقواد والامراء فلا يمت الى الامصار الا من اختبره في  
الجلية وقلا اخطأت فراسته في الناس ونشرب الامثال فنقول :  
كان كعب بن سور جالساً عند عمر بن الخطاب امرأة تشتكي زوجها  
فقال لكعب : القضي بينهما فلا تضي بها أحميه وما لم يخطر له ببال  
قال لكعب : اذهب قاضياً على البصرة . وسالوم عمر بن قيس فركبه  
ليجربه فمضب ، فقال للرجل : خذ فرسك . فقال الرجل : لا .  
قال : اجعل بيني وبينك حكماً . قال الرجل : شريح . فتحاكما  
اليه فقال شريح : يا امير المؤمنين خذ ما ائتمت او رداً كما اخذت ،  
فقال عمر : وهل القضاء الا هكذا ، سر الى الكوفة فمض قاضياً  
عليها . فقلوا وكان الفاروق لا يعرفه قبل يومه هذا ، وبقى شريح  
قاضياً هناك سنتين سنة .

ومن الفقهاء في ايامه ابو موسى الاشعري ، وسليمان بن ربيعة  
الباهلي ، وابو قرعة الكندي ، وابو الدرداء ، وابو سعيد الخدري ،  
وعبد الله بن عباس وغيرهم ، من كل من هو فرد في علمه ، متبحر  
بحسن خلقه ودينه ، ولقد كتب الفاروق الى ابي موسى : انه لم  
يؤل للناس وجوه يرفعون حوائج الناس فأكرم وجوه الناس ،  
فيحسب المسلم الضعيف من العدل ان ينصف في الحكم والقسمة ،  
يعني ان عمر اوصى بالاجان ، وان كان يكره الشفاعة والوساطة ،  
فقد توعد مولى عمر بأن يكتب كتاباً الى عامله في العراق ليكرم

احد من قصدوا اليها ، فأنه عمر وقال له : أريد ان يظلم  
الناس وهل هو الا رجل من المسلمين يسمه ما يسمهم .

ومن اعراف من ولام عمر القضاء ابو موسى الاشعري وكان  
ذا بلاء في الحروب والقيادة وله اثر جليل في فتوح فارس ، وقد  
كتب اليه عمر رضي الله عنه كتابه المشهور - يخط القضاء بين فيه  
كثيراً من نظام القضاء واصوله وهو يعتبر بثبات سياسة عمر القضائية  
التي كانت متبعة في عهده - وهذا نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم »

من عبد الله امير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك  
اما بعد فان القضاء خريضة وستة متبعة <sup>(١)</sup> فاقم اذا ادلي  
اليك فانه لا يتعم تكلم بحق لانقاذ له آس بين الناس في وجهك  
وعذلك ومجملتك حتى لا يطعم شريف سبب حيفك ، ولا يأس  
ضعيف من عدلك <sup>(٢)</sup> البينة على من ادعى واليمين على من انكره  
والصلح جائز بين المسلمين الا صلحاً اهل حراماً او حرم حلالاً فلا

(١) يريد ان القضاء في الاسلام لا يندو ما حده الله وما بينه رسولك .

(٢) هذا اساس المساواة التي جاء بها الدين ولا احترام للقضاء بدونه ،  
فان القاضي اذا كان له شامع مع احد الخصمين نشأت قالة السوء فيه ، وان بقا  
من عواذها اليوم فليس يباح عدلاً .

يتحك قضاء قضيت اليوم فراجعت فيه عقلك وهديت فيه لرشدك ،  
ان ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التادي  
في الباطل <sup>(٣)</sup> القيم القيم فيما تلجأ في صدرك مما ليس في كتاب  
ولاسنه ، ثم اعرف الاشياء والامثال ، فقس الامور عند ذلك ،  
واعمد الى اقربها الى الله واشبهها ، واجعل من ادعى حقاً غائباً امداً  
ينتهي اليه ، فان احضر بينته ، والا استجملت عليه الخسبة فانه انفي  
لشك واجلي للمعنى <sup>(٤)</sup> المسلمون عدول بعضهم على بعض ، الا  
مخلوفاً في حق ، او مجرباً عليه شهادة زور او ظنيماً في ولاء او  
نسب ، فان الله تعالى تولى منك السرائر ، ودرأ بالبينات والايان  
واياك والحق والضرر والتأدي بالخصوم ، والتشكر عند المحصومات

(١) يريد بذلك ان القاضي لا يتقاضى ما فيه من النصوص في قضية  
فيحكم به ، بل اذا ظهر له وجه الحق في حكمه الاول كان عليه ان يحكم  
بما ظهر له من العوايد ، فما يكون له به ما يشبه القضية التي حكم فيها  
خطأً أولاً ، لان الخطأ لا يكون فائدة ، ولان عمر حكم في قضية يحكم ثم بدا  
له العوايد في قضية تشبهها فلم يغير الحكم السابق ، ولكنه حكم وفقاً  
للعوايد في اللاحق . . .

(٢) يشير بذلك الى سوز التأجيل اذا عليه المأثم وكان عليه سبب  
مطلوب ، والذي ذكره من الاسباب جوهرية التهود الذين يظهر بهم حقه  
ثم تعيده باند يتنهي اليه انما كان دعماً للمثقة التي تحصل لاحد الخصمين  
يظلم التأجيل من خصمه الآخر في كل جلسة ، فبطل ابد الدهر تحت  
رحمته ، فلما قيده بان يستحل عليه القضية اذا لم يثبت حقه فيه

فان الحق في مواطن الحق يعظم به الله الاجر ، ويحسن به الذكر ،  
فمن صحت نيته ، واقل على نفسه كفاء الله ما بينته وبين الناس  
ومن تغلق الناس بما يعلم الله انه ليس من نفسه شانه الله ، فافظك  
بشوا بغير الله في عاجل رزقه وخزان رحته والسلام .  
وهذا الكتاب قد اقتده جمهور من قضاة المسلمين اساساً  
لتنظيم القضائية بعد عهد الفاروق ، وهو بذلك خليق وجدير .  
والواقع ان القضاء عهد الفاروق كان سهلاً بسيطاً مجرداً عن  
النظم الوضعية الكثيرة ، ولم يكن للقاضي كاتب ولا محيل ولم  
يكن للعا كات اصول ، ولكن القضاء في الواقع كان سريعاً  
صادقاً عادلاً وهو ما لا نراه اليوم الا غراماً

ولقد واجه المسلمون بامتداد الفتوح الاسلامية ، والتسليم  
في الارض مسائل كثيرة ، كانت تحتاج الى كثير من بعد النظر  
ووقفة الصبر ، فهذه المسائل المألة الجديدة ، وهذه الاموال الغزيرة  
التي كانت تدفق على المسلمين في المدينة ، ومسائل جيش والعنود  
ومعاملة الملوك وعلاقة الدخول به ، وما يؤخذ من القضاة من  
اسلم ومن لم يسلم ، واحوال في الزواج لم يكن عرفاً العرب ، وانواع  
في طريقة التقاضي لم يكن لهم بها عهد ، وبتأيات ترتكبت لم  
يرتكبها العرب في حياتهم السابقة ، وكل مثل ذلك في الشؤون



الداخلية والخارجية ، فواجه الشترعون الاولون امراً عظيماً خصوصاً  
وان القرآن الكريم والسنة لم ينصا في المسائل الجزئية على كل ما  
كان وما هو كائن ، ففتح عن هذا ان ظهر اصل آخر من اصول  
التشريع ، وهو (الرأي) الذي نظم تنظيمًا موقفاً وسعى بالقياس .

جرى على هذا اكثر من الصحابة فكانوا يستعملون رأيهم  
حيث لاقوا ، وقد نقل الينا المؤرخون جملة من المسائل التي  
استعمل فيها الصحابة رأيهم ، فلما يكذب يتولى رسول الله ، حتى  
راوا انفسهم امام اكبر مشكلة قانونية ، وهي : من يتولى الامر  
بعده ؟ وقد استعملوا رأيهم في هذه كما استعملوه في بحارة المرتدين  
ثم في جمع القرآن وقد امر الصديق بجمعه وفقاً لرأي الفاروق ،  
ولما عرضت مسألة العطاء وتقسيم الغنائم التي يقتضيها في الحروب  
اختلفوا في توزيعها فقال عمر : « لا نجعل من ترك دياره وامواله  
ساجداً الى رسول الله كمن دخل في الاسلام كرهاً » ، فقال ابو  
بكر : « انا املوا الله واجورهم على الله ، وسوى بينهم » ، فلما افضت  
الخلافات الى عمر فرق بينهم ووزع العطاء على تفاوت درجاتهم .

ورفعت الى عمر قصة رجل قتلته امرأة ابية وخليفاه ، فتردد  
عمر يقتل الاثنين في واحد ، فقال له علي : « ارايت لو انتم نفرأ  
اشتركو في سرقة جزور فاند هذا عضواً وهذا عضواً ، اكننت  
قاعهم ايديهم » ، قال : نعم ، قال علي : وكذلك فصل عمر برأيه

وكتب الى عامله يقتلها ، ولو اشترك اهل صنعاء كلهم يقتل  
رجل واحد لتعلمهم . . . . .

وامل عمر بن الخطاب كان اظهر الصحابة في الاخذ بالرأي  
وكان هذا من توفيق الله للسلمين ، فان الفاروق قد واجه من  
الامور المحتاجة الى التشريع ما لم يواجه خليفة قبله ولا بعده ، فهو  
الذي على يده فتحت الفتوح ، ومصررت الامصار ، وخضعت الاعم  
للمدنة من فارس والروم لحكم الاسلام ، وهي حالة لم يحدث بعد  
نظيرها ، فكان لعمري من التشريع في المسائل الاقتصادية والسياسية  
والعمرانية ما كان اصلاً لمفقها من بعده ، ولتلك يقول قبالقها :  
« انه العدة في تشريع العلاقات بين الغالبيين والمغلوبين »

وكان الفاروق يستعمل الرأي في اوسع من المعنى الذي ذكرنا  
من حيث لا نص في كتاب ولاننا نرى في سيرته انه كان  
يعتد في تعرف المصلحة التي لاجلها كانت الآية او الحديث ، ثم  
يسترشد بذلك للمصلحة في احكامه ، جاء في القرآن ان الصدقات  
للفقراء والمساكين والماملين عليها والموثقة قلوبهم ، وقد اعطى  
رسول الله بعض الناس بتألف قلوبهم للاسلام ، ولم يكونوا من  
الغبراء ولا من المساكين ، واعطى ابو بكر مثل ذلك لبعض الموثقة  
فلما نظر عمر الى الورقة مزقها ، وقال : « ان الله اعز الاسلام ولغنى حكم

فان ثبت عليه ، وإلا فينسا وينسكم السيف » ومعنى ذلك ان العطاء  
الاول كان والاسلام ضعيف ، فلما قوي الاسلام ارتفعت هذه  
للمصلحة بمنزلة وعدم حاجته الى امثال هؤلاء .

كذلك روى عن عمر انه لم يعظم يد السارق في عام الحاجة  
لعله ان السارق لم يندفع الى السرقة الا وهو جائع محتاج .

وكان الفاروق يستشير الصحابة مع معرفته المظلمة بالشريع  
والدين ، وروى الشعبي فقال : « كانت القضية تدفع الى عمر رضي  
الله عنه فرما يتأمل في ذلك شهراً ويستشير اصحابه ، واليوم يفصل  
في المجلس الواحد بمائة قضية »



### السياسة المالية والإدارية عهد عمر

نريد ان نجعل في هذه الصفحات شيئاً عن ثروة الدولة لاسلامية  
عصر الفاروق ، وان كان في الواقع انه تمت شيئاً كان لا يزال شيئاً  
بسيطاً ، وكان ما يبرح في اول نشأته وبخيره .

واذا ما اردنا التبسيط في هذا البحث ، وحاولنا العودة الى بحر  
الاسلام ، لتعرف على اصوله ونشأته ، فقد لا نجد شيئاً ، فالدولة  
الاسلامية عصر رسول الله لم يكن لديها ثروة حقيقية ، لانه عليه  
السلام لم يمتزج مالا ، ولا كان عنده بيت مال ، يفرق الغنائم بعد  
المعركة وفي الطريق ، فلا يترك لنفسه شيئاً ، ولما الصدقات فانها  
كانت تفرق على اهلها واصحاب الحاجة ، وكان رسول الله يتولى  
تقسيمها بنفسه ، وكان اكثرها من المشاة والابل والحيل ، فكان  
يسمها بجسم خاص يمتاز به عن سواها ، فلما توفي رسول الله كانت  
ثروة الدولة لاسلامية عبارة عن بقايا الزكاة من ابل وشيخ وماشية  
تحمس يراع خاصة قرب المدينة يبيعون عنها بالحق<sup>(١)</sup> ويسمى كان  
رسول الله نفسه يسميها<sup>(٢)</sup> وقد بلغت هذه الاموال ستة ايام

(١) للمأثري ١٧٦ (٢) البخاري ج ١ - ص ١٩٠

الرسول (٤٠٠٠) بين ابل وخبيل وغيرها<sup>(١)</sup> ومن هذه الاموال وما يلحق بها من مال الصدقة كان المسلمون ينفقون على غزواتهم ويساعدون من يهد للقتال وليس لديه السلاح ويعيلون الفقراء والايام من المسلمين

ولقد توفي رسول الله والمسلمون هم رجال الحكومة والجنود فلا وظائف عندهم ولا دوائر في حكومتهم فلا كانت خلافة الصديق وهد المسلمون لغزو العالم اخذت الاموال لتنفق على المدينة ولكنها كانت قليلة نادرة فلما قدم الفاروق اتسعت الفتوح وزادت الغنائم زيادة فاحشة اذهلت المسلمين اول عهدهم بالفتوح وادهشت الفاروق نفسه فيقال ان ابا هريرة قدم على الفاروق من البحرين قال فقال له عمر: سم جئت؟

قال: بمائة الف درهم<sup>(٢)</sup>

فاستكثره عمر وقال: اندري ما تقول؟

قال: نعم! مئة الف خمس مرات

قصده عمر المبر وقال: ايها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كنا لسر كيبلا وان شئتم عدنا لسر عددا<sup>(٣)</sup> ولا كثرت الاموال واتسعت الفتوح وضع عمر الديوان

(١) نرح الوحا لسة (خطية)

(٢) المقرئ ج ١ ص ٩٢

وفرض العطاء لكل واحد من المسلمين باختيار السابقة والقرابة من رسول الله وفرض الرواتب للعمال والقضاة ومنع ادخار المال وحرم على المسلمين اقتناء الضياع والزراعة<sup>(١)</sup> لان ارزاقهم ولرزاق عيالهم وعبيدهم ومواليهم تدفع لهم من بيت المال وحجة الفاروق بذلك ان يتقوا جندا للدولة لا يتهم انتفاع الزرع ولا يقدم الترف والبعث وكان اذا اسلم احد من اهل القعة - سكان البلاد الاصيلين - صار ما كان في يده من الارض والدور الى اصحابه من اهل قريته يفرق بينهم وهم يودون عنها ما كان يودون من خراجها ويسلمون اليه ماله ورفيقه وجوانه ويفرضون له راتبا في الديوان مثل سائر المسلمين<sup>(٢)</sup>

والعرض الذي كان يرمي اليه الفاروق ان يبقى اهل القعة وارضهم مصدرا قال الذي يحتاج اليه المسلمون في جهادهم وكان ليعقد انه اذا اشترى المسلمون الضياع قاتهم يستقلون بقاياهم دون سواهم ثم تصبح ملكا خاصا لهم وعمر يريد ان يبقيا عسوة على آخر هذه الامة من المسلمين المهاجرين قوة على جهاد ومونة للعرب على اتحام الارض وشر ربات الاسلام ذلك انه لم يكن هناك جند معين يتقاضى راتبا مخصوصا وانما كان المسلمون عليهم جند الله

(١) المقرئ ج ٢ ص ٢٠٩

(٢) ابن عسكرو (طبعة كره)

يلبون دعوة الخليفة عند الطلب ويعشون الى الجهاد مصرعين لامتعتهم زراعة ولا دور ولا تجارة<sup>(١)</sup>

.....

ولما اراد الفاروق ان يفرض العطاء شاور المهاجرين والانصار فاستأروا عليه به ثم شاور مسلمة الفتوح<sup>(٢)</sup> فاستأروا عليه يفرض العطاء الا حكامهم بن حزام وكان من اشرف مكة ووجهاتها وقال له: يا امير المؤمنين ان قريشا اهل تجارة ومتى فرضت لهم عطاء تركوا تجارتهم فباقي يمدك من يمس عنهم العطاء فتكون التجارة قد خرجت من ايديهم وكان رأي حكيم رايًا موقفا لانت معنى اطلاق العطاء تعويد الفئة الرافقة من العرب الكسل بعد ان كانوا اهل جد وعمل ولكن الفاروق اراد بالعطاء ان يحفز العرب على الجهد في التجارة والتوسم في الحياة وكان الحجاز في عهده لا يزال موطنًا خصبا للتجارة والاتجار فلما ثوق الله اليه وتلت اموال الجزيرة وغنائم الفتوح ترك اهل التجارة واخذوا ينعمون بهذا المال الوفير الذي كان يأتهم دون ما عندهم ولا تمب غفرت التجارة من ايديهم وعاد الحجاز الى فاقته الطبيعية وصحراؤه القاحلة

(١) ابن الاثير - المقرئ ج ١ ص ٤٢

(٢) وم الذين اسلموا يوم فتح مكة

ولقد اخذ الفاروق نفسه واهله بمجال من النقش وخشونة العيش حتى ساوى بالثمن الفقير الذي انا يعيش ما يتلهم به ما يجيب الرمي ويدفع الموح فلم تكن له حمة الى التلحق يرقق العيش ونعم الحياة الدنيا ولم يفكر بمسكرة الناس من الصحابة وغيرهم بالمال وكان يرى مال المسلمين مرتعا ويلا على من دعاه فقرر على نفسه تقديرا جعله موضع انتقاد الناس في عهده وكانوا يرون ان من حق امير المؤمنين ومحافظة على صحته ان ينال من اطياب العيش مثل ما يناله غيره وسواء وقد بلغ من شدة احتوائه عن اخذ مال المسلمين ان عطاءه رجا قصر به عن بلوغ الكفاية من حاجاته وحاجات اهله فلا يرضى ولا يفكر بان يطلب من المسلمين ان يفرضوا له كفايته بل كان يفضل الاقراض من امين بيت المال حتى اذا اخذ عطاءه سدده منه

ولقد رأى بعض الصحابة ما يعانيه امير المؤمنين من جهد العيش فاجتمع نفر منهم وعينوا الامر وتعدوا الى ام المؤمنين حفصة زوج رسول الله وابنة امير المؤمنين فحدثه بذلك فاقى وطلب منها اسماء هؤلاء الذين يجشوا هذا الامر فابت عليه استيائهم ولو فعلت لاساء اليهم

وقال امير المؤمنين مجاور اخته قائلا:

— ما افضل ما لفتي رسول الله من الملبس؟



قالت : ثوبان كان يلبسها للوفد والجمع  
وسألهما عن ما كنهه فكان خشناً بسيطاً ، وعن بساطته فكأن  
واحد خشناً ، فقال لها : فلبسهم في ثوبا سير سيرة رسول الله ، وثابا  
مثلي ومثلي صانحي كثر ثلاثة سلكوا طريقاً فضى الأول بسيله ،  
وقد تزود قبله للزل ، ثم اتبعه الآخر فسلك سيله فأفضى إليه ،  
ثم اتبعها الثالث فان لزم طريقهما ورضي بزادها حتى بهما ، وان  
ملك طريقاً غير طريقهما لم ياتهما

وكان الفاروق لا يسمح لأهل بيته أن يتفخروا بما ليس لهم  
به حق ، وقد روى مالك في الموطأ أن عبد الله وعبد الله ابن عمر  
خرجا في جيش الاسلام الى العراق ، فلما قفلا مراعى ابي موسى  
الاشعري وكان امير البصرة ، فحرب بهما وسبل ، واعطاهما مالا  
ليبت المال يتنايا به متاعاً من العراق ييمانه في المدينة فيرجعا  
ويقدا اصل المال الى بيت المال ففعلوا ، فلما علم عمر بذلك  
حاول اخذ الرجح ايضاً لولا تدخل بعض الصحابة ، فرفض  
بالصف

ولو ان امير المؤمنين ارشى العنان لنفسه ولاهل بيته لرتعوا  
ولرتم من بعدهم ، وكان مال الله تعالى حسباً على اولياء الامور ،  
لأن من التواعد المقررة ان الحاكم اذا امتدت يده الى مال الدولة  
انضم الفتق على لرائق ، واختل بيت المال ، وسرى الخلل في جميع

فروع المصالح وكثرت الخيانة واضطرب النظام  
وكان عمر اذا نعى عن امر من الامور جمع اهله فقال :  
« اي نيت الناس عن كذا وكذا » وان الناس ينظرون  
ايكم نظر الطير الى اللحم ، واقسم بالله لا اجد احداً منك فعله  
الا انصفت عليه العقوبة »

ولكن الفاروق لم يكن يأخذ الرعية بذنبه في التشفي بل  
كان يرى ان يعملهم على الحادة الوسطى وان يستمتعوا بالمطبات ،  
ولكنه كان يأخذ عماله بذنبه ، ليستقيم الامر ، ولتنظم شؤون  
الدولة ، وكان كبير الرأفة برعيته يعيد ما استطاع ليتوفر له الثراء  
والراحة والطأينة والمنة والسعادة

وخصلة أخرى أيضاً لمر ، تعد من بدائع ادارته الحسنة ، وهو  
انه ما كانت نفوته مسألة فيها توبة قلوب المسلمين الا امر بها  
خطب مرة فقال : « اعطوا الحق من انفسكم ولا يحمل بعضكم  
بعضاً على ان تخا كوا لي » فانه ليس بيني وبين احد من الناس هوادة ،  
وانا حبيب الي صلاحكم ، عزيز علي عيبكم ، وانتم الناس عمتكم  
حضر ، واهل بلد لا زرع فيه ولا شجر ، الا ما جاء الله به  
اليه » يريد ان يعلم الناس ان لا يكثروا من الرجوع الى الحاكم لفصل  
بهم في خصوصياتهم ، فيتصرفوا في التفكير في امورهم الخطيرة ،  
وان يعتمدوا على انفسهم لا على صاحب السلطان ، وان يعرفهم حقاً

الحاضر والبادي منهم ، ويعلمهم ان يعملوا ولا يسرفوا لانهم فقره  
ولطالما قال لقومه : « اصلحوا اموركم التي رزقكم الله وتقبل في رفق  
خير من كبر في عنف » يريد ان يسوق الناس الى المدنية بتوبة  
وهوادة ، وكان يقول : « من كان له مال فليصلحه ، ومن  
كانت له ارض فليعمرها ، وانه يوشك ان يجي » من لا يعطي  
الا من احب »

ونظر الى رجل مظهر للسك مثاوت ثقفه بالذرة وقال له :  
لا تمث علينا ديننا امانك الله -

وكانت همه عمر ايضاً ان يلقن العرب حب العمل ويعدهم  
عن حياة الكسل ، ولطالما قال لكتابه وعمله ان احسان العمل ، ان  
لا توشعوا عمل اليوم لقد ، فانكم اذا فعلتم ذلك تداولت عليكم  
الاعمال فلا تدرون بأيا تدأون ولا بأيا تأخذون ، وما كان يرى  
ابعاد العامة عن المجالس العالية لثلاث ثقتهم القوا تدوماً بدور في هذه المجالس  
من بحث وحوار ، وكان يوزع الاعمال بين الكفاءات وارباب التخصص  
ويقول : « ايها الناس من اراد ان يسأل عن التران فلأت ابي عن  
كعب ، ومن اراد ان يسأل عن الفرائض فلأت زيد بن ثابت ،  
ومن اراد ان يسأل عن الفقه فلأت معاذ بن جبل ، ومن اراد ان  
يسأل عن المال فلأتني ، فان الله جعلني له خازناً وقاسماً »

وكتب عمر الناس على قبالهم (أعضاهم) ، فقرض القروض  
واعطى المعاي على الساقية ، وبدأ بالاقرب فالأقرب من الرسول وفرض  
لأهل بدر ومن بعدهم الى الحديبية وبعده الرضوان ثم من بعدهم ولاهل  
القادسية واليرموك واعطى لساء النبي وغيرهم ووزق الصبيان والائمة  
والمؤذنين والمعلمين والقضاة والشعراء ، وحلف على ثمان ثلاث فقال :  
والله ما احد احق بهذا المال من احده وما انا احق به من احد والله  
ما من المسلمين من احد الا وله في هذا المال نصيب الا عداً جملوكا  
ولكننا على منازلنا من كتب الله تعالى ، وفسدنا من رسول الله  
فارجل وبلاؤه في الاسلام ، والرجل وقدمه في الاسلام ، والرجل  
وغناؤه في الاسلام ، والرجل وحاجته ، والله لئن بقيت لهم ليأمنن  
الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو يرى مكانه

ومما تملقت به همه عمر احداث او شراخ جديدة انتضتها حالة  
التوسم في الفتوح فهو اول من حمل الذرة <sup>(١)</sup> وهو اول من دون  
الدوليين على مثال دواوين الفرس والروم ، دونها له عقيل بن ابي  
طالب ومجزة بن نوفل وجبر بن معلوم ، وكانوا من نباء قرش لم  
على الانساب وابام الناس ، ولديوان الدفتر لم جهم الصنف ، والكتاب  
يكتب فيه اهل الجيش واهل المدينة ، وعرفوا الديوان بأنه موضع  
لحفظ ما تلقى بحقوق السلطة من الاعمال والاموال ومن يقوم بها

(١) الذرة حبة رمانة صغيرة يضرب بها